

روايات  
مصرية  
للحبیب

8

فارسی الأندلس

# رأس السهم



نبيهة فلاح

Abo Badr



## ١- اغتيال ..

اختفت الشمس أو كادت ، خلف الجبال البعيدة ،  
المطلّة على مدينة ( كيجاطة ) الأندلسية ، إحدى مدن  
مملكة ( غرناطة ) ، آخر ما تبقى للعرب في  
( الأندلس ) ، في تلك الفترة من الزمن ، وبدأ الشفق  
يتلون تدريجياً بألوان الغروب الرائعة ، في نفس  
الوقت ، الذي دخل فيه إلى المدينة فارس مشوق  
القامة ، متين البنيان ، تفوح منه رائحة الفتوة ، على  
متن جواد أسود أدهم ، ينافس راكبه شهاباً وقوة ،  
وراحاً يقطعان معاً سوق المدينة ، الذي انتهت تجارته ،  
وبدأ بالنعوه يملمون ما تبقى من بضاعتهم ، ويحصيرون  
ما ربحوه من مال ، استعداداً للعودة إلى ديارهم ..  
ولأن ( كيجاطة ) مدينة تجارية ، اعتادت استقبال  
الوافدين ، من كل المدن والقرى المحيطة ، لم يلتفت  
الفارس وجواده انتباه الكثيرين ، إلا وهو يستوقف  
بعض العارة ، ويسألهم :  
- أظمّع في أن يرشدني أحدكم إلى دار الحاج ( حسام  
ابن علي ) .

من بين أوراق التاريخ جاء ..  
من قلب الحضارة والأمل ظهر ..  
من أجل العدالة والحق كان ..  
ومن الماضي والحاضر والمستقبل ..  
الفارس ..

فارس الأندلس ..

نبيل فاروق



لم يكن الاسم غامضاً أو مجهولاً ، فالحاج ( حسام )  
واحد من أفضل من أنجبتهم ( كيجاطة ) ، في تاريخها  
الطويل ، وهو تاجر معروف ، ومناضل قديم ، من أولئك  
القتال ، الذين وهبوا حياتهم للدفاع عن بقاء العرب في  
( الأندلس ) ، وإنكأ نار الحماسة في نفوسهم ، حتى  
يتحدوا ، ويهبوا لملاقاة العدو القشتالي ، الذي يتوغل  
في كياتهم أكثر وأكثر ..

لذا فقد أرشد العديدون الفارس إلى دار الحاج  
( حسام ) ، ولم يكذبوا ، حتى قال لحارسها في لهجة  
قوية :

- أخبر الحاج ( حسام ) أنني أحمل له رسالة خاصة ،  
وأنني أشد ضيافته ، حتى مطلع شمس الغد .  
تطلع إليه الحارس في شيء من الشك والحذر ،  
وألقي نظرة قلقة على قوسه ، وسيفه ، وجعبة الأسهم  
المعلقة على كتفه ، قبل أن يقول :

- تفضل في المضيفة على الرحب والسعة ، حتى أبلغ  
مولاي .

ترجل الفارس عن جواده ، وعلق قوسه على  
سرجه ، وأضاف إليه جعبة الأسهم ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- أهذا يشعر بالأمان أكثر ؟

صمت الحارس لحظة ، قبل أن يقول في حزم :

- لو أضفت إليهما سيفك فحسب .

اتسعت ابتسامة الفارس ، وانتزع حزام المسيف  
وغمده ، وعلقهما في رقبة الجواد ، قائلاً :

- ألا تعتقد أنك حذر أكثر مما ينبغي ؟

أجاب الحارس في هدوء ، لا يخلو من الحزم :

- الحذر أفضل من الندم .

ثم أشار إلى الداخل ، مستطرداً :

- والآن تفضل .

تقدم الفارس خطوة ، ثم تراجع في هدوء ، والتقط  
سهماً من جعبته ، فاعتقد حاجبا الحارس ، وتحركت يده  
في حركة عفوية إلى مقبض سيفه ، فأشار الفارس  
بيده ، قائلاً :

- رويدك يارجل .. السهم لا يقتل وحده دون قوس ..  
إنما هي عادة أتفاعل بها فحسب .

صمت الحارس لحظات ، وهو يرمقه بنظرة متحفزة ،  
ويدير الأمر في ذهنه ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، قائلاً :

- فليكن .. سأبلغ مولاي .

دلف الفارس إلى المضيفة ، وألقى نظرة على  
وسائدها وظنافسها ، وتلك النافورة الصغيرة في  
منتصفها ، وهز رأسه ، مخمفاً :



— من الواضح أنك تحيا حياة مرفهة يا حاج (حسام) .

في نفس اللحظة ، كان الحاج (حسام) يعقد حاجبيه الكثرين الأشيبين في حيرة ، وهو يسأل حارسه :  
— ألم يخبرك حتى عن اسمه ؟!

أجابه الحارس :

— كلاً يا مولاي .. كل ما قاله هو : أنه يحمل رسالة خاصة ، وينشد ضيافتك ، حتى مطلع الشمس .

هز الحاج (حسام) رأسه في حيرة ، مغفماً :  
— عجبنا ! .. من يمكن أن يرسل فارساً مجهولاً برسالة ؟!

اعتدل الحارس ، قائلاً في حزم :

— هل أعود فأصرفه يا مولاي ؟

انتفض الحاج (حسام) ، هاتفاً :

— إياك يا ولدي .. بغض النظر عن الرسالة ، فالفارس ينشد ضيافتنا ، والحاج (حسام) لا يرد ضيفاً أو يصرفه قط .

ثم نهض ، وأشار إليه في حزم ، مستطرداً :

— اذهب إلى مولاتك ، وأخبرها أن لدينا ضيفاً عابر سبيل ، سيقضى ليلته في ضيافتنا .. فلتعد الطعام ،

وتذبح الذبائح .. لا أريد أن يبیت ضيفنا جائعاً .

قالها ، واتجه في خطوات حاسمة حازمة إلى المضيفة ، ولم يكد يلوح الفارس ، حتى قال في حرارة :  
— مرحباً مرحباً بأخ العرب .

نهض الفارس يستقبله بابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

— أنت الحاج (حسام) .. أليس كذلك ؟!

أجابه الحاج في هدوء :

— بلى يا ولدي .. تفضل بالجلوس .. نزلت أهلاً ، وحللت سهلاً .. اعتبر نفسك في دارك ،

التقط الفارس نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

— عندي رسالة لك يا حاج (حسام) .

أشار الحاج بيده في حزم ، قائلاً :

— ليس الآن يا ولدي .. الرسالة يمكنها أن تنتظر .. دعنا نقم بواجب ضيافتك أولاً .

ارتسمت على شفתי الفارس ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

— فليكن أيها الحاج .. أنا جائع بالفعل .

قال الحاج في حزم :

— دقائق ويأتي الطعام يا ولدي .

وراحا يتسامران ويتحاوران ، حتى جاء الطعام ،



فشمّر الحاج أكمامه ، وراح يقدم الطعام لضيفه ،  
ويسقيه بيديه ، حتى اكتفى وشبع ، فأمر برفع صحاف  
الطعام ، وإعداد أقذار الشاي ، قبل أن يقول :  
- اعذرني يا ولدي ، ولكننا تحدثنا طويلاً ، دون أن  
أسألك عن اسمك .

اعتدل الفارس ، وهو يقول :

- اسمي سيد هشك حتماً يا حاج ( حسام ) ، فلست  
عربياً كما تتصور ، وإنما أنا قشتالي .

اتسعت عينا الحاج في دهشة ، وهو يهتف :

- قشتالي ؟ .. ولكن لغتك العربية لا غبار عليها .

ابتسم الفارس في شيء من السخريّة ، قائلاً :

- لهذا اختاروني ، لأوصل إليك الرسالة .

سأله الحاج في توتر :

- أية رسالة ؟

استلّ الفارس من طيات ثيابه خنجراً ماضياً بفتة ،

وانقضّ به على الحاج ( حسام ) ، وغرسه حتى مقبضه

في قلبه ، هاتفاً :

- هذه .

اتسعت عينا الحاج في ألم ، ودار حول نفسه ، هاتفاً

بصوت مختنق :

- خيانة .. خيانة .

ثم هوى جثة هامدة ..

وفي سخريّة ، أخرج الفارس ذلك السهم من جيبه ،  
وتكرّ رأسه ، وألقاه إلى جوار جثة الشيخ ، قائلاً :

- هل قل : بطولة ، أيها العربي الساذج .

قالها ، وأطلق صفيراً ، تجاوب معه جواده بصهيل  
قوى ، فانتطلق يعدو نحو الشرفة ، في نفس اللحظة التي  
ظهر فيها الحارس ، واستلّ سيفه ، صارخاً في غضب  
وارتجاج :

- يا إلهي ! .. مولاي ( حسام ) قُتل .. خيانة ..  
مولاي ( حسام ) قُتل .

وانطلق خلف القشتالي ، الذي وثب عبر النافذة ، إلى  
صهوة جواده ، وهو يطلق ضحكة ساخرة عالية ،  
وانطلق يعدو به مبتعداً ، في قلب الليل ..

وصرخ الحارس :

- أوقفوه .. أوقفوا الخائن .

إلا أن صرخته ضاعت في الهواء ، والفارس  
القشتالي يبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

\* \* \*



لم يفارق الملك (فرناندو) شرفة حجرته لحظة واحدة ، منذ استيقظ من نومه ، مع شروق الشمس ، وظلت عيناه معلقتين بالسمااء طوال الوقت ، حتى أن الملكة (إيزابيلا) ، ملكة (قشتالة) و (ليون) ، قالت له في عصبية :

- ماذا أصابك اليوم يا ملك القشتاليين ؟ .. هل صرت مجنونا ، لا يمل التطلع إلى السماء ؟!  
اتعقد حاجباه في شيء من الغضب ، وهو يغمغم :  
- مجنوب ؟ !

ثم استدار إليها ، مستطردا في شيء من السخرية :  
- ماذا أصاب (إيزابيلا) النقية الورعة ؟ .. لماذا تلوث لسانها الجميل بتلك الأنفاظ ، التي لا تصلح إلا للرعاع والسوقة ؟ ! .. أهى عدوى من جنودك الأوغاد ، أم رغبة في التشبه بجواريك الحسان ؟ !  
بدا عليها الغضب ، وهى تقول فى حدة :

- جنودى هم جنودك يا ملك القشتاليين ، أما جوارى ، فأظنك أكثر معرفة بهن منى .  
ابتسم ساخرا ، وهو يتجه إلى المنضدة ، ويصب لنفسه كأسا من الخمر ، مجيبا :  
- بالتأكيد .



وهى مسخوبة ، أخرج الفارس ذلك السهم من جيبه ، وكسر رأسه .

وألقاه إلى جوار جثة الشيخ ..



ثم رفع كأسه في وجهها ، مستظرداً :

- ولكن هذا ليس الشيء الوحيد الذي أجيدته .

قالت بسرعة :

- بالطبع .. هناك التآمر أيضاً .

برقت عيناه ببريق ساخر ، وهو يجرع كأسه دفعة

واحدة ، واحتقن وجهه في شدة ، وهو يقول :

- هذا صحيح .. التآمر هو موهبتي الأولى ، وستثبت

الأيام هذا ، عندما تجعلك براعتي في التآمر ملكة على

( غرناطة ) .

مطت شفيتها ، قائلة :

- سمعت هذا ألف مرة من قبل .

أشار بسبابته ، قائلاً :

- في هذه المرة سيكون الإيقاع مختلفاً بالتأكيد .

اتعقد حاجبها ، وهي ترمقه بنظرة شك ، وقالت في

شيء من الحدة :

- يلوح لي أنك تخفي شيئاً .

ارتسعت على شفيتها ابتسامة خبيثة ، راحت تتسع

في سرعة ، حتى تحولت إلى ضحكة مجلجلة ، جعلتها

تهتف غاضبة :

- أنت تخفي شيئاً حتماً .

تعلقت عيناه بغتة بنقطة ما في السماء ، وفوجئت به

يندفع إلى الشرفة ، هاتفا :

- آه .. إنها هي على الأرجح .

أسرعت خلفه إلى الشرفة ، وتابعت ببصرها واحدة

من الحمام الزاجل . تطير نحو برج القصر مباشرة ، ثم

سألته في توتر :

- ما الذي تنتظره ؟

أجابها في لهفة :

- رسالة من ( بابلو ) .

كررت في دهشة :

- ( بابلو ) ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يعود في خطوات سريعة

إلى الحجرة ، ويصب لنفسه كأساً من الخمر في انفعال ،

قائلاً :

- ( بابلو دي لوركا ) ، حارسي الخاص .

سألته في توتر :

- ولماذا يرسل لك ( بابلو ) رسالة ؟

جرع كأسه الثانية دفعة واحدة أيضاً ، وهو يجيب :

- سترين بعد لحظات .

لم تمض دقائق معدودة ، حتى وصل أحد الحراس ،



حاملة الرسالة ، التي وصلت بها الحمامة ، ففضها  
( فرنادو ) في لهفة ، وألقى نظرة سريعة عليها ، تألفت  
معها عيناه ، قبل أن يطلق ضحكة ظافرة ، هاتفا :

- رالع يا ( بابلو ) .. رالع .

سألته الملكة ( إيزابيلا ) .

- ماذا تقول الرسالة ؟

ألقاها إليها ، هاتفا :

- ( بابلو ) نجح في التخلص من الحاج ( حسام

ابن علي ) .

سألته في حيرة :

- ومن ( حسام بن علي ) هذا ؟

فهقه ضاحكا مرة أخرى ، وهو يقول :

- يا له من سؤال !.. من الواضح أنك تجهلين الكثير

عن خصومنا يا ملكة ( قشتالة ) و ( ليون ) .. الحاج

( حسام بن علي ) واحد من ثلاثة رجال ، تقوم على

اكتافهم الروح الحماسية والقتالية للعرب ، وتلتهب

لخطبهم المشاعر ، وتتأجج ضدنا ، مما يجعل بلوغ

هدفنا شاقا عسيرا .

ثم فرقع سبابته وإبهامه ، مستطردا :

- ولكن لو تخلصنا منهم ، فلن تصبح المهمة

بالصعوبة نفسها ..

اتسعت عينها ، وهي تهتف :

- هل أرسلت ( بابلو ) لاغتيال الحاج ( حسام ) هذا ؟

صاح فجأة :

- خطأ .

ثم صب لنفسه كأسا ثالثة ، مستطردا :

- لقد أرسلته لاغتيال ثلاثتهم .

وارتشف هذه المرة رشقة صغيرة من كأسه ، قبل أن

يتابع في حماس :

- وعندما ينجح في هذا ، سيصبح طريقنا إلى

( غرناطة ) مفتوحا ، وسنضع نهاية للوجود العربي

فيها ، وفي ( الأندلس ) كلها ..

قالها ، وعاد يطلق ضحكة عالية مجلجلة ، و ...

وشامته ..

\* \* \*

استنشق الشيخ ( فاضل القرطبي ) ، قاضي مدينة

( بسطة ) نسيم الصباح العليل ، في شرفة داره ، وملا

صدره بالهواء النقي ، وهو يغمغم :

- صباح جديد ، ورزق جديد ، من الخالق ( سبحانه

وتعالى ) .. اللهم ارحمنا برحمتك ، وارزقنا من رزقك ،

وأعنا على حياتنا وهمومنا .



ثم التفت إلى ابنه ( همام ) ، مستطرداً :

- أسرج جوادى يا ولدى .. الطقس صحو ، أحب أن أعدو بجوادى فى الحقول قليلاً .

ابتسم ( همام ) ، قائلاً :

- سمعنا وطاعة يا أبى .. دقائى ونخرج معاً .

أوما القاضى برأسه فى ارتياح ، مغمغماً :

- بارك الله فىك يا ولدى .. بارك الله فىك .

كان يشعر بالسعادة ؛ لأن الله ( سبحانه وتعالى ) قد

أنعم عليه بولد صالح ، أطوع له من بناته ، يحسن

صحابته ورعايته فى شيخوخته ..

ويسعى لكل ما يرضيه أيضاً ..

ففى دقائى معدودة ، كان ( همام ) قد أسرج

الجوادين ، وانطلق مع والده وسط الحقول الخضراء

الغناء ، وهو يسأله فى اهتمام :

- قل لى يا أبى : هل تؤمن حقاً بأنه مازال بوسعنا

استعادة ( الأندلس ) ؟

تنهد الشيخ ( فاضل ) ، قبل أن يجيب :

- مازلت أؤمن بأنه مازال هناك أمل ، لو أننا عدنا

إلى إيماننا ، وصدقنا ، وتعففنا عن المفاسد ، وتأزرنا

كيد واحدة ، فى وجه القشتاليين .

سأله ابنه فى حذر :

- وهل تعتقد أن هذا ممكن ؟

صمت الشيخ لحظات ، واكتست ملامحه بالحزن ،

وهو يجيب :

- كل شيء ممكن يا ولدى .. كل شيء .. المهم أن

نتسلح بالإيمان والأمل .

قال ابنه فى أسى :

- ولكن كيف السبيل إلى هذا يا أبى ، وأمرأونا

يعيثون فساداً فى الأرض ، ويتجاهلون العدو ، و ...

بتر عبارته بفتة ، وهو يتطلع بعيداً ، فسأله الشيخ

( فاضل ) ، وهو يدير عينيه إلى حيث ينظر :

- ماذا هناك يا ولدى ؟

أشار ( همام ) إلى ظل شجرة قريبة ، قائلاً :

- هناك رجل يراقبنا هناك .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى خرج الرجل وجواده من

دائرة الظل ، واتجه نحوهما ، قائلاً للقاضى :

- صباح الخير .. أنت الشيخ ( فاضل ) .. أليس

كذلك ؟

أوما القاضى برأسه إيجاباً ، وهو يسأل :

- بلى يا ولدى .. من أنت ؟



أجابه الرجل فى شىء من السخرية :

- أنا رسول ، أحمل إليك هدية .

قال الشيخ فى دهشة :

- رسول ؟ .. رسول من يا ولدى ؟ وأية هدية تلك

التي تحملها ؟

استل الرجل سيفه بحركة حادة سريعة ، وهو يهتف :

- رسول ملك ( قشتالة ) يا شيخ المأفونين ، وها هى

ذى هديته .

صرخ ( همام ) ، عندما رأى السيف يهوى على عنق

والده :

- لا .. أبى .

واستل سيفه بدوره ، لينقض على ( بابلو ) ،

صارخا :

- أنت قتلت والدى أيها القشتالى .. أنت تستحق

الموت .

استقبل ( بابلو ) سيف ( همام ) على سيفه ، ثم

تراجع بحركة ماهرة ، وانقض على الشاب فى سرعة ،

وأطاح بسيفه بضربة قوية ..

وفجأة ، وجد الشاب نفسه أعزل ، فهتف :

- أيها الحقير .. كنت أتمنى أن أحتفظ بسيفي ،

لأواصل القتال معك حتى النهاية .



أطلق ( بابلو ) ضحكة ساخرة ، هاتفا :

- لا تقلق يا فتى .. إنها نهايتك فى كل الأحوال .

ووثب إلى الأمام ، يغمد سيفه فى صدر الشاب ، الذى

جحظت عيناه ، وهوى إلى جوار جثة أبيه ..

وفى لاميالة ظافرة ، انتزع ( بابلو ) سهمها من

جعبته ، وكسر رأسه ، ثم ألغاه إلى جوار الجثتين ، قبل

أن يقهقه ضاحكا ، ويقول :

- لم أكن أعلم أن اغتيال زعماء العرب هينا إلى هذا

الحد .

وجذب عنان جواده ، الذى أطلق صهيدا قويا ، وهو

يضرب الهواء بقالمتيه ، قبل أن ينطلق براكبه ، فى

طريقهما إلى ( غرناطة ) ، لأداء المهمة الثالثة ..

والأخيرة .



## ٢- الفارس ..

انطلق سهم قوى ، يشق لهواء ، فى منطقة المخيم الصغير ، على مشارف ( غرناطة ) ، ومرق وسط لهيب شمعة كبيرة واجتث طرف فتيلها المشتعل ، دون أن يسقط أو يمس الشمعة نفسها ، قبل أن ينفرس فى جذع شجرة ، على بعد مترين منها ، وارتفع صوت يهتف فى مرج :

- مرهى يا فتى .. لقد فعلتها .

حفص ( فارس ) قومه ، وهو يملأ صدره كله بالهواء ، فى سعادة طفرة ، ومعلمه ( مهاب ) يستطرد فى حماس

- أرايت يا مولاي الوزير ؟ عندما تحدثته أن يفعتها ، لم تكن تصور أنه يستطيع هذا فعلا

ابتسم الشيخ فى وقار ، وهو يقول :

- لا تفس أنه تلميذك يا ( مهاب ) .

التفت ( فارس ) إلى ( مهاب ) ، مضيفا :

- وما زلت أدين لك بالفضل .

ربت ( مهاب ) على صدره فى قوة ، قائلا فى سعادة :

- إننى أشعر بالفخر لهذا ي وندى . وسكت تلميذ فداق أستاذة .. أنا نفسى لا يمكننى فعل هذا .

هز الشيخ رأسه فى بطل ، قائلا :

- كفى يا ( مهاب ) . والا أصبته بالعروور

مط ( مهاب ) شفثيه ، وهز رأسه ، وهو يقول

- انت على حق يا مولاي لوزير لا ينبغى أن ابالغ

فى مدحه .

أشار الشيخ بسببته . قائلا فى صرامة

- حذار يا ( مهاب ) إنك تخطبنى بهذا اللقب

كثيرا ، فى الاونة الاخيرة ، وهذا يعرضنا جميعا

للخطر .

احتقن وجه ( مهاب ) ، وهو يغمغم :

- معذرة يا سيدي .. لم أنتبه إلى ...

قاطعه ( فارس ) بغثة . وهو يشير إليه فى حزم .

ويرهف سمعه ، قائلا :

- اصمت .

أطبق ( مهاب ) شفثيه فى سرعة ، والتفت إليه مع

الشيخ فى تساؤل . وادهشهما أن اتجه إلى جواده

( رفيق ) فى خطوات واسعة سريعة . ثم يتب على

مقنه ، دون أدنى صوت ، ويقبض على معرفته بدمس

فى أنه :



- فى هدوء يا (رفيق) . لا تريت ان ينتبهوا إلينا .

همس (مهذب) فى توتر :

- ماذا حدث بالضبط ؟

أشار إليه الشيخ ، هامساً :

- اصمت وانتظر . إنه يعرف ما يفعله جيداً

انطلق (رفيق) يخوض الدغل المجاور فى خفة .  
كما دريه (فارس) . الذى لاذ بالصمت بدوره . وعيناه  
تدوران وسط الأغصان المتشابكة . وهو يرهف سمعه  
إلى أقصى حد ..

كان حفيف الأغصان . الذى يتسلل إلى أذنيه خافتاً  
حذراً . يرشده إلى رجلين . يتسللان على جواديهما عبر  
الدغل . فجذب معرفة جواده فى رفق . وهو يهمس :

- قف .. انتظرني هنا .

ثم وثب يتعلق بفصن كبير . وقفز منه إلى آخر .  
حملة إلى قمة إحدى الأشجار . فى خفة مدهشة وهدوء  
شديد . وهناك استقر جامداً ساكناً . كتمثال من المرمر .  
يراقب المكان فى حذر وانتباه ..

ثم لمح الرجلين ..

كانتا يتجهان بحواديهما فى حذر . نحو النقطة التى  
يختبئ فيها . ثم توقفا بغة . واتسرا أحدهما إلى حيث



وهناك استقر جامداً ساكناً . كتمثال من المرمر . يراقب المكان فى

حذر وانتباه ..



يقف جواده . ثم راحا يقتربان منه في حذر . و .

وقجاة ، انقضّ عليهما ( فارس ) ..

هبط من فوق السحرة . ثيركل أحدهما في وجهه .  
في نفس اللحظة اتى تغلق فيهب بحرمة التأتى . وجذبه  
ليسقط من فوق جواده .

وعلى الرعم من نيه تم يكن يحمل سلاحا . انقضّ  
( فارس ) على لرجس الأول . ووثب على متن جواده  
خفيه . واستر سيف لرجل بحركة سريعة . وهو يقول :

- الرجل لا يتسلل على هذا النحو إلا ...

قاطعه صوت هادئ وقور :

- إلا لو لم يكن يرغب في أن يراه أحد .

كان الصوت مأثوق . حتى أن ( فارس ) التفت إليه  
في سرعة ، هاتفا :

- مولاي ( ابن الأحمر ) .

كان أمير ( غرناطة ) على متن جواده . يقف وسط  
الدغل . في شموخ واعتداد . وهو يقول :

- هو أنا يا ( فارس ) أنت تشير دهشتي وإعجابي  
دوما يا غنى . فعسى الرغم من اتسى حضرت أفضل  
رجس من جيش حراسى معى . وأنا اتسلل الى هنا . إلا  
أنت كشفت امرى . وهرمتهم كالمعد

نهض الحارس من الأرض . وهو يقول مرتبك :

- لقد باغتت يا مولاي ، و ...

قاطعه الأمير في صرامة :

- محاولة التبرير تزيد موقفك سوءا يا رجل ، فلو  
كان ( فارس ) خصما . لما كنت حيا الآن . لتبرر فشلك  
في التسلل إلى مخيمه .

قفز ( فارس ) من فوق . تواد الحارس . وهو يقول :

- أنت على حق يا مولاي . إنيما يحتاجان إلى مزيد  
من التدريب . على يد معلم سلاح لا يشق له غبار  
اهتسم الأمير ، قائلا :

- هل تقترح اسما بعينه ؟

اتحنى ( فارس ) أمامه ، قائلا :

- مولاي يعرف أكثر مدى من يصلح لهذه المهمة  
تتهند الأمير . وهو يوهى برأسه إيجابا . قائلا :

- ليته يقبل المهمة يا ولدى .

ثم استعاد صرامته الواقور . وهو يضيف :

- والان ، قدنى إلى الوزير . فهناك أمر أحب أن  
أناقشه معكم .

واتعقد حاجباه . وهو يمتطرد في حزم :

- أمر قد يتوقف ، عليه مصير مملكة ( غرناطة )  
كلها .



وكان صوته وهو ينطقها ، يحمل رنة عجيبة ..  
رنة ألم ..  
وأسى ..

\* \* \*

بدا التوتر واضحاً ، فى ملامح التاجر اليهودى  
( إفرام بن إسرائيل ) ، وهو يتهاذى بجواده ، على  
مشارف مدينة ( غرناطة ) ، وعيناه تدوران فيما حوله  
فى قلق بالغ ، فابتسم معاونيه ( شيلوك ) ، وهو يقول  
فى خفوت ، تفوح منه رائحة الخبث :

- اطمئن يا مولاي ، سيصل فى موعده .

زهر ( إفرام ) فى توتر زائد ، وهو يقول :

- كيف هذا ، وقد تأخر عن موعده بالفعل . ها هى  
ذى الشمس تكاد تبدأ رحلة الغروب ، ولم يظهر جواده  
بعد .

أجابه ( شيلوك ) بنكت الخبث ، الذى بدا وكأنه جزء  
من تكوينه الشخصى :

- لا تقلق يا مولاي الطريق من ( بسطة ) إلى هنا  
طويل ، ولا أحد يدري ماذا حدث هناك .

التفت إليه فى ارتياح ، قائلاً :

- أنطه فشل فى مهمته فى ( بسطة ) ؟

كاد ( شيلوك ) ينفجر ضاحكاً ، وهو يقول :  
- أنا لم أقل هذا يا مولاي .. ولم أقصده أيضاً ، وإنما  
عانيت أن أداء المهمة هناك لا يرتبط حتماً بموعد  
ثابت .. ربما لم تحن فرصة مناسبة بعد ، ولهذا أعطونا  
موعدين لاستقباله ، أحدهما الآن ، والآخر صباح الغد .

تهد ( إفرام ) فى توتر أكثر ، وهو يقول .

- لماذا اختاروا موعدين فى وضوح النهار ؟! ألم  
يكن من الأفضل أن يصل ليلاً ؟!

تخنج شيلوك ، قائلاً :

- معذرة يا مولاي ، ولكن وصوله ليلاً أكثر خطورة ،  
فالمضرات يروحون ويجيئون فى وضوح النهار ، ومولاي  
( بابلو ) عربى الملامح كما يقولون ، وهذا يجعل  
وصوله فى المواعيد العادية أقل إشارة للشبهات  
والانتباه .

رمقه ( إفرام ) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول فى  
حدة :

- قل لى يا ( شيلوك ) : لماذا أشعر دائماً بأنك  
تعرف أكثر مما تعلن ؟

انكمش ( شيلوك ) وأحاط نفسه بغلاف سانس  
متمسكن : وهو يجيب :



— أنا مجرد عبد من عبيد مولاي .

رمقه ( إفرام ) بنظرة أخرى . وهم بقول شيء ما ،  
عندما اعتدل ( شيلوك ) فجأة ، وهو يشير إلى نقطة ما ،  
قائلا .

— يبدو أنه وصل يا مولاي .

نجح هذا القول في جذب انتباه ( إفرام ) في شدة .  
إلى النقطة التي يشير إليها ( شيلوك ) ، فاشرباب  
بعنقه ، ليتطلع بعيدا ، حيث ظهر فارس على جواد  
أدهم . يعدو به وسط التلال . في طريقه إلى المدينة ..  
ولقدائق . لم ينبس ( إفرام ) أو ( شيلوك ) بحرف  
واحد . وهما يتابعن ذلك الفارس ، الذي واصل طريقه  
نحوهما ، حتى توقف عندهما ، ومسح عرقه بيده ، وهو  
يبتسم . قائلا :

— يوم حار .. أليس كذلك ؟

أسرع ( إفرام ) يجيب في انفعال :

— بلى . ولكن برد ( غرناطة ) أسوأ من حرها في  
المعتد

اتسعت ابتسامة انفارس ، وهو يقول :

— هذا لو أنها ستشهد برذا آخر .

ارتجف جسد ( إفرام ) في انفعال ، بعد أن تأكد ، من

التعبيرات المتبادلة ، والمتفق عليها مسبقا . ان الواقف  
أمامه هو نفسه ( بابلو دي لوركا ) . رسول ملك  
( قشتالة ) . في حين ابتسم ( شيلوك ) . وهو ينحنى  
قليلا ، قائلا :

— مرحبا بك في ( غرناطة ) يا سنيور ( بابلو )

أشار إليه الفارس في هدوء حزم . قائلا :

— لا تستخدم هذا الاسم أبدا يا رجل . اتنى استخدم  
هنا أصما عربيا .

انحنى ( شيلوك ) مرة أخرى . قائلا :

— وهل لى أن أعرف ذلك الاسم . الذي يستخدمه

مولاي ؟

شد ( بابلو ) قامته على جواده . وارتسمت على  
شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يداعب مجموعة الأسهم  
في جعبته ، قائلا :

— ما رأيك في ( سهم ) ؟ هذا الاسم يروق لى  
كثيرا .

ازدرد ( إفرام ) لعابه . قبل أن يقول :

— مرحبا بك في ( غرناطة ) يا سيد ( سهم ) .. هيا

بنا نذهب إلى داري ، فهناك سيكون الحديث أكثر متعة .

وجذب غنان جواده . وهو يضيف متوترا .



.. وأكثر أمناً .

جذب ( بابلو ) نفساً عميقاً ، ملأ به صدره القوى ، ثم  
انطلق مع مرافقيه إلى دارهما ..  
وإلى قلب ( غرناطة ) ..

\* \* \*

« اسمه ( بابلو دي لوركا .. » ..

نطق الأمير ( ابن الأحمر ) العبارة في حزم ، يمتزج  
بالكثير من التوتر ، وهو يجلس في خيمة الشيخ ،  
مواجهاً إياه ، مع ( فارس ) و ( مهاب ) . قبل أن يبرز  
لعابه ، ويتابع :

— جواسيسنا في ( قرطبة ) أخبرونا بأمره . فهو  
الحارس الخاص للملك ( فرناندو ) ، ولقد أرسله إلينا  
هذا الأخير في مهمة محدودة . أن يقتل أكبر ثلاثة من  
رءوس الحملة الوطنية ، التي تحث الناس على الاتحاد  
والتأزر ، في مواجهة العدو القشتالي ، كوسيلة لإضعاف  
روح التصدي والمقاومة . وفتح الطريق أمام  
القشتاليين ، لدخول مملكة ( غرناطة ) .

سأله الشيخ في اهتمام :

— كلمة أكبر ثلاثة رءوس هذه ، تجعل ذهنى يقفز إلى  
ثلاثة أسماء بالتحديد : الحاج ( حسان بن علي ) ،  
والشيخ ( فاضل القرطبي ) ، وشقيقك الأمير ( زاهر بن

الأحمر ) .. أتظننى أصبت الحقيقة ؟ !

أوما أمير ( غرناطة ) برأسه إيجاب ، وهو يقول :  
— بل أصبت كبدها مباشرة أيها الوزير . وهذا يؤكد  
لى أنك مازلت تحتفظ بحصافة ورجاحة عقلك ، التي  
تميزك منذ أيام الحكم في ( قرطبة ) .

ثم تنهد ، مستطرداً :

— الثلاثة الذين اشترت إليهم ، هم بالفعل من تهدف إليهم  
عملية ( بابلو ) ، التي أطلق عليها ( فرناندو ) اسم  
( رأس السهم ) ، باعتبارها وسيلة لشق طريق  
القشتاليين ، إلى قلب ( غرناطة ) .

مأله ( مهاب ) في قلق :

— وهل تعتقد أن ( بابلو ) هذا قادر على القيام بمهمته

الحقيرة ؟

تنهد الأمير مرة أخرى ، وهو يهز رأسه ، قبل أن  
يقول في أسى :

— لم يعد الأمر مجرد اعتقاد للأسف لقد نجح

( بابلو دي لوركا ) في تنفيذ ثلثي مهمته بالفعل

اتعقد حاجباً ( فارس ) في شدة ، وهو يقول :

— هل قضى على رجلين من الثلاثة ؟

أوما الأمير برأسه إيجاباً ، وقال :



- نعم لقد قتل الحاج (حسام) منذ يومين ،  
وتخلص من الشيخ (فاضل) وابنه صباح أمس ،  
وبعدها فقدنا أثره .

أشار الشيخ بيده ، قائلا :

- لا ريب أنه في طريقه الآن إلى هنا ، ليظفر بالأمير  
( زاهر )

قال الأمير في حسم :

- أو أنه وصل بالفعل .

سأله ( فارس ) في اهتمام :

- لماذا لا تضعون حراسة على أبواب ( غرناطة ) ،  
وتتفقدون رجالكم للبحث عنه واعتقاله ؟

واتدفع ( مهاب ) يقول :

- وتحيطون مولاي الأمير ( زاهر ) بحراسة مكثفة ،  
في الوقت ذاته

هز الأمير رأسه ، قائلا .

- الأمور لا تسير بهذه البساطة . ولو سألتكم الوزير ،  
لأيد قولي هذا ، فنحن أولا نجهل كيف يبدو ( بابلو )  
هذا ، ثم إن البحث عنه يستلزم مضاعفة الدوريات ،  
وتفتيش الديار الآمنة ، مما سيثير موجة من القلق  
والفرع عند الناس ، وهذا آخر ما نرغب في إثارتة ،  
والعدو يتربص بنا ، أما عمية حماية الأمير ( زاهر ) ،  
وإحاطته بحراسة كافية . فهي مهمة أكثر صعوبة  
ومشقة

سأله ( مهاب ) في دهشة :

- وكيف هذا ؟

أجابه الأمير :

- لأن شقيقى الأمير ( زاهر ) رجل عنيد . لا يمكنك  
إقناعه قط بالتزام قصره . وهو يصبر على أن إحاطته  
بالحراسة أمر مرفوض . لأنه يصنع حاجزا بينه وبين  
الناس ، ويمنع من أن يلقي عليهم خطبه الحماسية ،  
أو يستمع إلى آرائهم وشكاواهم .

قال ( مهاب ) في حيرة :

- حتى وهو يعلم أنه مهدد بالاغتيال ؟

تنهد الأمير ، وهو يهز رأسه ، قائلا :

- ألم أقل لك : إنه رجل عنيد !!

ران على الخيمة صمت قصير ، استغرق دقيقة أو أقل  
قليلًا ، قبل أن يميل الشيخ نحو الأمير ، ويسأله في حزم :

- ما الذى يطلبه منا مولاي ، في هذا الشأن ؟

صمت الأمير لحظة ، قبل أن يتراجع ، قائلا :

- إننى أنشد تعاونكم معى كالمعتاد .

هم الشيخ بقول شيء ما ، لولا أن استدرك الأمير في  
سرعة :

- ولكن على نحو مختلف هذه المرة .

تبادل الثلاثة نظرة سريعة ، قبل أن يقول الشيخ  
برصانته المعهودة :

- كيف يا مولاي الأمير ؟

اعتدل الأمير ، مجيئاً في اهتمام :

- أريد أن يتولى ( مهاب ) مهمة حراسة الأمير ( زاهر ) وتأمينه . ون تشاركني أنت أيها الوزير مهمة دراسة وتفنيد الموقف القشتالي . الذي دفع ( فرناندو ) إلى القيام بهذه الخطوة الجريئة . والتساج التي يتوقع الوصول إليها عسكري . لو نجحت عملية اعتيال الأمير ( زاهر ) . وكيفية التصدي لها . لو نجح ( بابلو ) في هذا لاسمح الله ( سبحانه وتعالى )

ثم استدار إلى ( فارس ) ، قائلًا :

- أما أنت ، فأسند اليك المهمة الرئيسية يا فتى . واتخذ حاجباه في حزم ، وهو يضيف :

- سيكون عليك أن تنطلق في قلب ( غرناطة ) . للبحث عن ذلك القاتل وإيقفه ، قبل أن ينجح في تنفيذ مهمته

ووضع يده على كتف ( فارس ) ، مستطردًا .

- وهذا يعني أنك أملنا الوحيد ، بعد الله ( سبحانه وتعالى ) . في فشل خطة القشتاليين ، والقضاء على الرأس .

واكتسى صوته بصرامة بلا حدود ، مع إضافته الحاسمة :

- رأس السهم .

وكانت البداية ..

\* \* \*

## ٢- ثمن السدم ..

لم يكد الليل يرخي سدنه ، على قصر اليهودي ( إفرام ) ، حتى تسأل ( شيلوك ) في خفة إلى جناح الضيافة . الذي احتله الفارس القشتالي ( بابلو ) ، ودق بابه ثلاث دقات في حذر ، والتصق بالحدار ، وهو يدير عينيه فيما حوله في قلق ، خشية أن يلحقه أحد ، حتى فتح ( بابلو ) باب جناحه ، وألقى عليه نظرة ساخرة ، قائلاً :

- إذن فقد انتقلت إليك عدوى الخوف من سيدك .

أسرع ( شيلوك ) يدخل الجناح ، قائلاً :

- الحذر أفضل من الخطأ يا رجل .

أغلق ( بابلو ) الباب خلفهما ، وهو يسأله :

- كيف تمر أمورك هنا ؟

استعاد ( شيلوك ) ابتسامته الماكرة ، وهو يجيب :

- كل شيء على ما يرام . لقد أصبحت المستشار

الأول لمولاي . ولم يعد يستطيع إنجاز شيء ما دون

استشارتي .

وافق ( بابلو ) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :



- لقد لاحظت ذلك إنه لا يشد لحظة واحدة في أنك جاسوس قسّالى .

أشار ( شيلوك ) بسبابته ، قائلا :  
- وخاصة أنتى يهودى مثله .

رمقه ( بابلو ) بنظرة خاوية ، قبل أن يقول :  
- وماذا عن قصر الأمير ( زاهر ) ؟

برقت عينها ( شيلوك ) ، وهو يجيب :  
- كل شيء على ما يرام هناك أيضا .

ثم مال نحوه ، مستطرداً فى لهجة خبيثة ، وصوت أقرب إلى الهمس :

- ابنة عمى ( راشيل ) تعمل فى قصر الأمير ( زاهر ) ، ولقد أتياها جدها بوجود سرداب خفى ، فى أحد أروقة القصر ، يقود إلى خارج أسواره ، وهى وحدها تعرف سر ذلك السرداب ، وستقودك عبره إلى القصر ، وهناك سترشدك إلى حجرة الأمير : لنتم مهمتك .

أوما ( بابلو ) برأسه ، قائلا :

- عظيم . يبدو أن مهمتى ستنتهى بسرعة .. هيا بنا إذن ، لنجث عنق أميركم المناضل هذا ، حتى أعود لأبشر مولاي بقرب النصر .

قال ( شيلوك ) فى سرعة :

- رويدك يا سنيور ( بابلو ) .. لن يمكننا أن نفعل هذا الليلة .

انعقد حاجبا ( بابلو ) فى غضب ، وهو يقول :  
- ولماذا ؟!

أجابه ( شيلوك ) ، وهو ينكمش فى مذلة ، ليس لها ما يبررها :

- ( راشيل ) تعمل فى خدمة الأميرات الصغيرات الليلة ، ولن يمكنها إيجاد حجة للخروج من القصر .

سأله ( بابلو ) فى حدة :

- ومتى تجد هذه الحجة ؟!

هز كتفيه ، قائلا :

- ربما ليلة غد .

مطّ ( بابلو ) شفّتيه فى حنى ، ثم قال فى صرامة :

- فليكن يا ( شيلوك ) .. سأمنحك وابنة عمك فرصة

لليلة واحدة ، وبعدها سيكون عليكما إما أن تنفذا

وعدكما ، وتدخلتا إلى القصر : لأنهم مهمتى ، أو ...

وأشار إلى عنقه ، مستطرداً :

- أو أجد لمهمتى بديلاً .. أعنى بديلين .

شحب وجه ( شيلوك ) ، وارتجفت أطرافه ، وهو يقول :

- استدخل القصر غدا يا سنيور ( بابلو ) ، بعد منتصف الليل .

وانكمش في مكانه ، مضيفا :  
- هذا وعد .

قالها ، واندفع يغادر جناح القشتالي ، وجسده يرتجف أكثر ..  
وأكثر .

\* \* \*

لم تتوقف الحركة لحظة واحدة ، في قصر الأمير ( زاهر ) ، في تلك الليلة ، مع التعديلات التي يجريها ( مهاب ) في نظم وأساليب الحراسة ، لتأمين القصر ، وحماية صاحبه ، حتى أن قائد الحرس شعر بالحنق والسخط ، مع اقتراب الفجر ، فهتف ثائرا :

- لست أفهم سر هذا التوتر . إننا نقوم على حراسة هذا القصر ، منذ سنوات وسنوات ، دون أن تحدث فيه حادثة واحدة ، فما الذي استجد الآن ؟

واجهه ( مهاب ) في صرامة ، قائلا :

- الذي استجد الآن ، هو أنني صرت مسئولا عن الأمن هنا يا رجل ، وأنت مضطر لطاعة أوامري ، وتنفيذها دون مناقشة . هل تفهم ؟

قال الرجل في غضب :

- ولماذا تتولى أنت مسؤولية الأمن هنا ؟ .. من تكون ؟ وما الذي استدعى وجودك ؟ !

شد ( مهاب ) قمته ، وهو يقول في صرامة :  
- لو أنك تجهلني ، فإلسيف والقبوس والنشاب تعرفني ، وتخضع لي مختارة ، لأضرب بها صدور وأعناق الأعداء ، ومجنى هو المصد الأول لهجماتهم ، والمدافع الأكبر عن كل من يحمي به .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف في شدة :  
- أنا ( مهاب ) ، قائد فرسان أمير ( قرطبة ) السابق .  
شهق قائد الحرس ، هاتفا :  
- القائد ( مهاب ) ؟ !  
ودون أن يدري ، وجد نفسه ينحني أمام ( مهاب ) في احترام ، مستطرذا :

- اغفر لي يا قائدي .. لو أنني أعلم ..  
قاطع ( مهاب ) ، وهو يمنعه من الانحناء ، قائلا :  
- عفوا يا رجل . لا تتحنن إلا لله ( سبحانه وتعالى ) .. أنا لم أقصد زهوا أو تفاخرا ، وإنما أردت منك أن تعلم أنني لست هويا أو متحذلقا  
هتف الرجل :



- هاويا ؟!.. أستغفر الله أيها القائد .. صحيح أنني لم أعمل معك قط ، إلا أنهم يتساقطون بطولائك كالأساطير .

ثم مال نحوه ، يسأله في اهتمام :

- ولكن اسمح لي يا سيد (مهاب) . هل يمكنني أن أعرف سر كل هذه الإجراءات الاستثنائية .

صمت (مهاب) لحظة ، ثم أجابه في حزم :

- الواقع أنه هناك محاولة لاغتيال مولاي (زاهر) هتف في دهشة :

- اغتيال ؟!.. رباه !.. ومن يقدم على فعل حقير كهذا ؟

أجابه (مهاب) :

- فارس قشتالي ، يدعى (بابلو دي لوركا) ، أرسله الملك (فرناندو) خصيصا لأداء المهمة ، ولقد نجح بالفعل في اغتيال آخرين . الحاج (حسام بن علي) ، والقاضي (فاضل القرطبي) ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، فقفزت يد قائد الحرس إلى مقبض سيفه ، قائلا في توتر :

- ماذا حدث أيها القائد ؟

أشار إليه (مهاب) ، قائلا :

- يخل إلى أن أحدهم يتجسس علينا

ثم استل سيفه ، واندفع نحو ستارة سمكة ، فازاحها بسرعة ، ولمح شخصا يختفي في نهاية الممر ، فهتف :

- كنت على حق .

وانطلق يعدو نحو نهاية الممر ، ولكنه لم يجد يبلغها ، حتى توقف حائرا محنقا ، فقد كانت هناك أربعة أبواب مغلقة فيه ، وسلمان في نهايته ، كل منهما يقود إلى جناح من جناحي هذا الجانب من القصر ..

وكان الهدوء يخيم على المكان كله ، عندما لحق به قائد الحرس ، وهو يمسك سيفه بدوره ، قائلا :

- هل أمسكت به ؟

أجابه (مهاب) ، وهو يندفع نحو أحد السلمين :

- لقد اختفى هنا .. ابحث عند السلم الآخر .

فحصا المكانين في اهتمام ، قبل أن يقول قائد الحرس في غضب :

- لا يوجد له أثر هنا .

اعتدل (مهاب) ، قائلا :

- ولا هنا . من الواضح أنه اختفى خلف أحد هذه

الأبواب .

أمسك به قائد الحرس ، قائلا في حزم :

ولا يمكنك لبحث عنه هناك ، فهذه حجرات الحريم .  
والأميرات الصغيرات .

صمت ( مهاب ) لحظة . وهو يدير عينيه في الأبواب  
الأربعة ، قبل أن يفهم :  
- أهو الفضول الأنثوي أم ..

لم يتم عبرته . وإنما راح يدرس الأمر في ذهنه  
بضع لحظات ، قبل أن يقول في حسم :

- فليكن .. هيا بنا يا رجل ، لنستكمل إجراءات الأمن  
ونصرف مع قائد الحرس من المكان كله ، في نفس  
الوقت الذي ارتفعت فيه دقات قلب امرأة ، تختفي خلف  
أحد الأبواب المغلقة ..  
امرأة تدعى ( راشول ) ..

\* \* \*

لم تكن الشمس قد برزت في الأفق بعد ، على الرغم  
من ذلك الضوء المتلون الجميل ، الذي اصطفت به  
السماء هناك ، عندما تعالى وسط تلال ( غرناطة ) وقع  
خوافر جواد قوي ، لم يلبث أن برز من وسط دغل  
قريب ، وعلى متنه فارس شاب . يمتطيه دون سرج أو  
لجام ، وينطلق به في رشاقة مدهشة ، جعلتهما معا  
صورة للفتوة والقوة في ذلك العصر .



فقد كانت هناك رعدة باب معلقة فيه ، ومسلمان في بهيته ، كان

مهما يعود إلى حراج من حراجي هذا الحرج من القصر



وعلى قمة تل قريب من الدغل . توقف الفارس مع  
جواده الأبيض . ودار حول نفسه لحظات . ليطلع صورة  
شاملة للموقع في ذهنه . قبل أن يربت على عنق  
الجواد ، مغمفاً :

- رويدك يا ( رفيق ) إنه هنا حتماً ، في مكان  
ما .. الشيخ أخذ لى هذا .

ودار بعينه مرة أخرى في المكان كله ، قبل أن يرفع  
رأسه إلى أعلى . ويحيط فمه براحتيه . ثم يطلق صيحة  
طويلة . أشبه بعواء ( ابن أوى ) (\*) ..

ولدقيقة أو يزيد ، بعد أن أطلق صيحته ، ران على  
المكان كله سكون رهيب مهيب ..

ثم انطلقت صيحة شبيهة ..  
ولكنها أكثر قوة ..

وفي حركة سريعة . التفت ( فارس ) إلى مصدر تلك  
الصيحة الجديدة . وهو يهتف في حماس :  
- أرايت يا ( رفيق ) إنه هنا بالفعل

(\*) ابن أوى حيوان تدعى بيس . من جنس ( كاس ) . يبيع فضيه  
الكسبات . وبسنة أسب . ولكنه يصغر منه حجم . يمدى بالحيث وأشد  
والحيوان ويعتوض جنوب شرق ( أوروبا ) و ( آسيا ) و ( إفريقيا ) .  
والنوع الأخير هو الموجود في مصر . والذي يعرف حظاً بالندب

ومع آخر حروف كلماته ، برز الفارس الآخر من  
وسط الدغل .

فارس زنجي ، على متن جواد قوى شديد السواد ،  
انطلق على الفور نحو التل نفسه . ولم يكذ يبلغ قمته .  
حتى قفز عن صهوة جواده . وانحنى أمام ( فارس ) .  
الذي هتف في سعادة . وهو يمسك كتفيه ، ليعاونه على  
النهوض :

- ( فهد ) .. يا لسعادتي لرؤيتك ! كيف حالك يا أخي !  
ابتسم ( فهد ) في صمت . وهو يربت على كتفي  
( فارس ) بدوره . والسعادة واضحة في ملامحه .  
فابتسم ( فارس ) ، قائلاً :

- صامت كعادتك يا ( فهد ) يبدو أن الصمت قد  
التصق بك طويلاً . حتى صار جزءاً من شخصيتك  
وتكوينك .

تطلع ( فهد ) إلى عينيه في صمت . دون أن يعلق  
على قوله . فربت ( فارس ) على كتفه مرة ثانية .  
وكانه يتفهم الوضع . ثم قال في جدية :

- عندي مهمة لك يا ( فهد )

اتعقد حاجباً الزنجي القوى في اهتمام واضح . فتابع  
( فارس ) :

— القشتاليون ارسلوا واحدا من فرسانهم . ليقتال  
عددا من قادتنا . ولقد نجح بالفعل في قتل اثنين من  
أفضل قادتنا الحاج ( حسام ) . والقاضي ( فاضل )  
امتزج الغضب بالغرم . في عيني ( فهد ) . دون أن  
يفصح لسانه عما يعتزل في نفسه . و ( فارس ) يتبع :  
— وهو الآن في ( غرناطة ) . لاغتيال الأمير ( زاهر  
ابن الأحمر ) .

اعتدل ( فهد ) . وقبضت يده على مقبض سيفه في  
صرامة . فشر إليه ( فارس ) . قائلا .  
— لا يا ( فهد ) مثل هذه الأمور لن تحل بالقوة  
وحدها . فذلك القشتالي يحتبئ في مكان ما . في قلب  
( غرناطة ) . ونحن نجهل ملامحه . والمكان الذي  
يختفي فيه . وأنوميلة التي ينوي استخدامها لاغتيال  
الأمير . وكل ما نملكه هو أن نحيط بالأمير . وننتظر  
حتى يستعد ذلك القشتالي . ويضرب ضربته . حتى نوقع  
به .

ثم تنهد في عمق . مستطرذا :  
— وأن لا أشعر بالارتجح لهذا الأسلوب يا ( فهد ) .  
فأنا أميل للهجوم . وليس للدفاع .  
وافقه ( فهد ) بإشارة حازمة من رأسه . فتابع  
( فارس ) في حسم :

— لذا فقد قررت البحث عن ذلك القشتالي . في كل  
مكان من ( غرناطة ) . في كل قصر . ودار . وشارع .  
حتى في الأسواق ودور اللهو ..  
ثم رمق ( فهد ) بنظرة طويلة . قبل أن يقول .  
— وهذا يحتاج إلى شبكة اتصالات واسعة للغاية  
يا ( فهد ) شبكة ترتبط بالجنود . والحراس . والخم .  
والباعة . والتجار .

وجذب نفسا عميقا من الهواء النقي . قبل أن يضيف :  
— باختصار .. أحتاج إلى اتصالاتك الداخلية يا ( فهد ) .  
صمت ( فهد ) لحظات . وملامحه الجامدة لا تشف  
عن أي شيء مطلقا . ثم انفرجت شفتاه في مبادرة  
نادرة الحدوث . وابتعث من بينهما صوت قوي عميق .  
يقول في انقباض شديد :  
— اتبعني .

قائما الزنجدى القوى . ووثب إلى صهوة جواده  
الأسود . وانطلق به نحو المدينة . ومن خلفه  
( فارس ) . على متن حواده لشاهق البيض .  
لقد بدأت المواجهة ..  
المواجهة الحقيقية ..

\* \* \*



استيقظ ( بابلو ) مع مشرق الشمس . ونهض يلتقط  
نفسا عميقا من الهواء النقي . عند شرفة حجرته . قبل  
أن يتسم في سخرية ، قائلا :

- منعش هو هواء ( غرناطة ) . يبدو أن هذا سر  
تمسك العرب بها .

لم يكد ينتهي من كلماته . حتى سمع طرقات هادئة  
على باب جناحه . فالتفت إليه . قائلا في صوت قوى .  
- ادخل يا من بالباب .

دثف ( شيلوك ) إلى الحجرة . بصحبة خادمة جميلة .  
تحمل طعام الإفطار . على صينية من الفضة . وانحنى  
( شيلوك ) . حتى كادت جبهته تصطدم بالأرض . وهو  
يقول :

- تحية لمولاي ( سهم ) . لقد أعدنا إفطارا شهيا .  
نرجو أن ينال رضاك .

ثم اعتدل يشير للخادمة في حزم . فوضعت الصينية  
في موضعها . وانصرفت في خطوات سريعة . وأغلقت  
الباب خلفها . فقال ( بابلو ) ساخرًا :

- لست أظنك هنا من أجل صينية طعام .

ابتسم ( شيلوك ) ابتسامته الخبيثة . وهو يقول .

- من الواضح أن مولاي حاد الذكاء .

٥ .

سأله ( بابلو ) . وهو يبدأ في تناول طعام إفطاره :

- ماذا لديك هذه المرة ؟

انحنى ( شيلوك ) مرة أخرى ، قائلا :

- ( راشيل ) رهن إشارتك يا مولاي . وستنتظرك عند  
الركن الشرقي لأسوار القصر . في تمام منتصف الليل  
قل ( بابلو ) في هدوء . وإن حملت عيناه هريق ظفر  
واضح :

- عظيم .. يمكنني العودة غدا إذن .

وهنا رفع ( شيلوك ) سبابته ، قائلا :

- ولكن ..

لم يزد على هذه الكلمة . ولكن اللقمة توقفت في  
حنق ( بابلو ) . وهو يقول في حدة :

- ولكن ماذا ؟!

قالها . وسعل بشدة . واحتقن وجهه قليلا . فأسرع  
( شيلوك ) يناوله قدح الماء . ولكنه ضرب يده في  
حدة ، قائلا :

- ولكن ماذا يا رجل ؟! .. هت ما لديك هيا .

تنحج ( شيلوك ) : ليضفي أهمية على حديثه . قبل

أن ينحنى نحو ( بابلو ) ، هامسا :

- لقد كشفوا أمرك .

اتعقد حاجبا ( بابلو ) فى شدة . و ( شيلوك ) يقول  
- ( راشيل ) سمعت قائد لامن الجديد . يتحدث مع  
قائد الحرس أمس . وكان حديثهما عنك . وعن  
محاولتك لاغتيال الأمير ( زاهر ) .

ازداد اعتقاد حاجبى ( بابلو ) . وهو يقول  
- حقا ؟!

تابع ( شيلوك ) فى سرعة :

- ( راشيل ) تقول : إن قائد الامن الجديد صارم  
وحازم للغاية . وأنه أجرى تعديلات عديدة فى نظم  
الحراسة . طوال ليلة أمس . ووضع حراسا فى كل  
ممر . وأمام كل باب . ولم يعد من الممكن دخول  
القصر . وإنهاء مهمتك فيه .

صمت ( بابلو ) لحظات . وهو يفكر فى عمق . قبل  
أن يسأله :

- ومن قائد الأمن الجديد هذا ؟

أجابه ( شيلوك ) فى خبث :

- إنه ( مهاب ) قائد فرسان أمير ( قرطبة ) السابق

ارتفع حاجبا ( بابلو ) فى دهشة . هتفا .

- ( مهاب ) ؟! .. أما زال على قيد الحياة !

وصمت لحظات . وهو يحك ذقنه بسببته وإبهامه .

قبل أن يقول :

- فى صباى . وفى أثناء تدريباتى الأولى . كانوا  
يضربون لك المثن . فى الشجاعة والقوة والبأس . بذلك  
الرجل ( مهاب ) ..

وعاد إلى صمته مرة أخرى . ثم التفت إلى  
( شيلوك ) . وقال فى حزم :

- قل لى : هل يمكن لابنة عمك هذه . أن تحصل على

أحد أزياء الحرس ؟

ابتسم ( شيلوك ) بخبثه المعتاد . قائلا :

- هذا الأمر لا يحتاج إلى ابنة عمى . أنا يمكننى

توفير الزى .

قال ( بابلو ) :

- عظيم .. أريد الزى هنا . قبل غروب الشمس .

ولتنتظرنى ابنة عمك فى نفس الزمان والمكان .

تضاعفت جرعة الخبث والدهاء . فى ابتسامة

( شيلوك ) . وهو يقول :

- ولكن الحصول على مثل هذا الزى يحتاج إلى بعض

المال .

التفت إليه ( بابلو ) بنظرة غاضبة . لم تلبث أن

تحولت إلى ابتسامة ساخرة . وهو يقول .

- بالطبع .. كل شيء فى حياتك يحتاج إلى المال .



## ٤- الطعنة ..

لم يكن البحث عن القشتالي أبداً بالمهمة السهلة ، فى مدينة كبيرة ، ذات أسواق ضخمة ، مثل مدينة ( غرناطة ) . يقد إليها مئات من التجار والمشتريين يومياً ..

وعلى الرغم من شبكة الاتصالات الواسعة لـ ( فهد ) ، كانت المعلومات باهتة وقليلة للغاية ، حتى كاد اليأس يتملك ( فارس ) ، لولا أن أحضر إليه ( فهد ) أحد خدم قصر ( إفرام بن إسرائيل ) ، الذى قال :  
- نعم . لقد استقبل مولاي ضيفاً أمس .  
قال له ( فارس ) فى اهتمام :  
- صف لنا هذا الضيف .

التقى حاجبا الرجل ، وكأنما يركّز أفكاره ، وهو يجيب :

- إنه قوى البنيان ، ممشوق القامة ، عريض المنكبين ، فى الخامسة والعشرين ، أو السادسة والعشرين من العمر ، يرتدى ثياباً عربية ، ولكنه يتمنطق بسيف كبير ، له غمد فاخر ، ويحمل على ظهره

والتقط من حزامه صرة نقود ، ألقاها إلى ( شيلوك ) ، قائلاً فى لهجة شديدة الصرامة :

- أريد الذى قبل غروب الشمس .

التقط ( شيلوك ) صرة النقود فى لهفة وشراهة ، وتقدّفها بين راحتيه ، ليشتف أنفيه برنين الذهب ، قبل أن ينحنى فى قوة ، وهو يتراجع بظهره إلى الباب ، هاتفا :

- كما تأمر يا مولاي .. كما تأمر ..

وأسرع يقادر الجناح ، قبل أن يتراجع ( بابلو ) فى قراره ، ويطلبه باسترداد ذهبه ، فى حين مضى هذا الأخير شفتيه فى ازدراء ، وبصق خلفه ، قائلاً :

- أفرح ما شئت أيها الحفير ، فكل ذهب ( بابلو ) سيعود إليه .

ثم استعاد ابتسامته الساخرة ، مضيفاً :

- بعد منتصف الليل .

واتسعت ابتسامته ، حاملة كل الثقة .

وكل الشر .

\* \* \*

قوسا وجعبة نشاب ، ويمتطي جو دا أدهم .

التفت ( فارس ) إلى ( فهد ) . هاتفا في حماس :

- إنه هو دون شك .

أمسك ( فهد ) مقبض سيفه في قوة . واتعقد حاجباه

في صرامة . في حين سأل ( فارس ) الخادم في انفعال :

- وأين يقيم ضيف مولاي هذا ؟

أجاب الخادم بسرعة :

- في الجناح الشرقي للقصر . ولكنه الآن بصحبة

مولاي ( إفرام ) . في ساحة القصر . حيث النهو

والمرح .

ربت ( فارس ) على كتفه في حرارة . قائلا :

- أشكرك يا رجل .. أشكرك كثيرا .

ثم أشار إلى ( فهد ) . مستظردا في حزم :

- هيا بنا .

وتبا على صهوة جواديهما . واتنقيا معا إلى قصر

( إفرام ) . و ( فارس ) يقول في حماس :

- تول أنت أمر حراس القصر . واترك لى ذلك

الفارس

لم يعلق ( فهد ) على العنارة . وإن اتعقد حاجباه

لحظة . قبل أن يستعيد وجهه جموده . ويواصل انطلاقه

إلى جوار ( فارس ) . حتى بلغا قصر ( إفرام ) . فترجلا

عن جواديهما . وتقدم ( فارس ) نحو حراس البوابة .

قائلا في صرامة :

- أخبروا مولاكم أننا نرغب في مقابلته على الفور .

باسم الأمير ( ابن الأحمر ) .

كان ( شيلوك ) يعبر البوابة . في هذه اللحظة . ولم

يكذ يسمع قول ( فارس ) . حتى التفت إليه بحركة

حاددة . واتسعت عيناه في هلع . ثم عاد أدراجه .

واتطلق يعدو إلى داخل القصر .

ولم يغب هذا التصرف عن عيني ( فارس )

و ( فهد ) . فاستل الأخير سيفه في حركة سريعة قوية .

في حين تجاوز الأول الحراس بقفزة مباغتة . هاتفا :

- توقف يا رجل .

تحرك الحراس الخمسة في آن واحد . للتصدي

للرجلين . ولكن ( فهد ) انقضّ عليهم كالوحش . وهو

يطلق صرخة عظيمة . ارتجفت لها الدماء في عروقهم .

قبل أن يهوى سيفه على صدورهم وأعناقهم ..

أما ( فارس ) . فقد تجاهل ذلك الصراع العنيف عند

البوابة . واستل سيفه بدوره . وهو يعدو محاولا اللحاق

باليهودى ( شيلوك ) . قبل أن يحذر القشتالى . ولكن

هذا الأخير صرخ :



- احترس يا سيد (سهم) .. احترس .

ومع صرخته ، اندفع اثنان من رجال القصر ،  
يعترضان طريق (فارس) بسيفيهما ، فاستقبلهما بسيفه  
في حزم ، وهوى به على عنق أحدهما ، ثم استدار  
يستقبل سيف الثاني على نصل سيفه ، ووثب يركله  
بقدمه في صدره ، هاتفا :

- لا وقت عندي لملاقاتك الآن .

تشبث الرجل بقدمه ، فهوى عليه بسيفه ، صائحا :  
- فليكن .. أنت أردت هذا .

ثم انطلق يواصل مطاردته لليهودي (شيلوك) ، في  
حين استقبل (بابلو) تحذير هذا الأخير ، وهو يجلس  
مع (إفرايم) ، فشهِق التاجر رعبا ، وصرخ :  
- لقد كشفوا أمرنا . يا ويلتي !! خسرت كل  
شيء .

أما (بابلو) ، فانتفض في حزم ، وألقى لثامه على  
وجهه ، وهو يستل سيفه ، قائلا :

- اصمد يا رجل .. لم نخسر شيئا بعد .

لم يكذب قطعا ، حتى اقتحم (شيلوك) المكان ،  
وخلفه (فارس) ..

وقبل أن يطق (شيلوك) صيحة واحدة ، انتفى

(فارس) خصمه من بين الرجلين ، وأدرك أن اللثام  
يخفي الجاسوس حتما ، فانتفض عليه ، صائحا في  
صرامة :

- فشلت خطتك أيها القشتالي .

ولكن (بابلو) استقبل السيف بسيفه ، هاتفا في  
سخرية :

- ألسنت تسبق الفعل بالقول أيها العربي

ارتفع صليل سيفيهما ، وهما يلتقيان ويتباعدان ، في  
مبارزة مذهشة ، تشف عن قوة كل منهما وبراعته ،  
وقلبه الذي لا يعرف الخوف ..

ومع تبارزهما ، اتجها على نحو تلقائي ، إلى السلم  
الرخامي ، الذي يقود إلى الطابق العلوي للقصر ، فقفز  
إليه (بابلو) ، وهو يضرب بسيفه ، هاتفا :

- يبدو أنني مضطر لأن أشهد لك بالبراعة أيها  
العربي ، فبنو قومك لا يصمدون أمامي كل هذا الوقت  
في المعتاد .

وثب (فارس) نحوه ، وسيفه ينتفض في مهارة ،  
وهتف :

- هذا لأنك لم تلتق بالفرسان منهم .

اعتلى (بابلو) بضع درجات أخرى من السلم ، وهو

يطلق ضحكة ساخرة ، قائلا :

- من قال هذا يا فتى ؟ القبور مليئة بفرساتكم ،  
الذين واجهوني سيفاً لسيف .

قفز ( فارس ) خلفه ، وهو يضرب سيفه . هاتفاً :

- سارستك إليهم إذن ، فرفاك هناك بانتظارك

ادرك ( بابلو ) أن خصمه ليس هيناً ، وأن المباراة  
قد لا تنتهي لصالحه على الأرجح ، وخاصة عندما شاهد  
( فهد ) . وهو يقتحم القاعة بسيفه ، الذي يميل من  
نصله نهر من الدم ، فهتف :

- يبدو أنك لن تكمل حديثنا الممتع هذا أيها العربي ،  
فأنا مضطر للرحيل فوراً .

قالها . وانطلق يقفز درجات السلم بأقصى سرعته .  
صاعداً إلى الطابق العلوي ، فهتف ( فارس ) ، وهو  
يشير إلى السلم الآخر :

- ( فهد ) .. امنعه من الفرار .

ثم انطلق خلفه . وأدهشه أن يطلق القشتالي صفيراً  
قوياً ، قبل أن يبلغ الطابق الثاني . وجرى بكل قوته  
نحو أقرب شرفة . ثم استدار يستقبل سيف ( فارس ) .  
هاتفاً :

- ما هذه البراعة أيها العربي .. لا أحد يمكنه اللحاق  
بى فى المعتاد .

ثم اندفع نحو ( فارس ) فى عنف مباغت . اضطرب  
معه هذا الأخير للتراجع بضع خطوات . فتراجع ( بابلو )  
بدوره . ثم وثب إلى حاجز الشرفة . وأطلق ضحكة  
ساخرة ، قائلا :

- إلى اللقاء أيها العربي .

اندفع ( فارس ) نحوه بسيفه فى قوة . ولكن القشتالي  
وثب فى رشاقة . وترك جسده يهوى من الطابق  
الثانى . وضحكته الساخرة تجلجل فى المكان ، فوثب  
( فارس ) نحو النافذة ، و ...

واتخذ حاجباً فى غضب هادر ..

لقد رأى ( بابلو ) يقفز إلى صهوة جواده . الذى  
استجاب لصفيره . ووقف أسفل الشرفة مباشرة ..

ولم يكد الفارس يستقر على جواده . حتى انطلق  
الجواد مبتعداً فى سرعة ورشاقة . واختفى عند ناصية  
الشارع ..

وانطلق ( فارس ) صفيره بدوره . فاتنفض جواده عند  
باب القصر . وأطلق صهيلاً قوياً ، وهو يضرب الهواء  
بقامتيه . ثم انطلق يعدو نحو مصدر الصفير ..

ووثب ( فارس ) من الشرفة بدوره ..

واتسعت عيون المارة فى ذهول ..



لقد رأوا الفارس القشتالي يثب إلى جواده ، الذي  
ينتظره تحت الشرفة ، وامتلات أنفسهم بالدهشة  
والإعجاب ، لرشاقة الفارس وقوة الجواد .

أما في هذه المرة . فكان المشهد يختلف  
لقد وثب ( فارس ) من الشرفة ، قبل أن يبلغها  
( رفيق ) ، الذي زاد من سرعته ، وقفز في الهواء ،  
ليستقبل فارسه ، في توافق مذهل ، وتزامن ماله من  
مثيل ، ثم يواصل انطلاقه دون توقف ، و ( فارس )  
يقبض على معرفته بأصابعه في قوة ، هاتفا :  
- أسرع خلفه يا ( رفيق ) .. أسرع .

انتقل حماس الفارس إلى جواده ، فانتطق بنهب  
الأرض نهبا ، في محاولة للحاق بالقشتالي ، ولكن ..  
وآه من كلمة ( لكن ) !  
لم يكن هناك أثر لذلك القشتالي ..  
لقد اختفى وسط طرقات ( غرناطة ) ..  
اختفى تماما ..

\* \* \*

« ولم يختف وحده .. »

نطق ( فارس ) العبارة في غيظ ، وهو يروي ما حدث  
لأمير ( ابن الأحمر ) والشيخ ، وازدد مرارته مع



وترك حسده يهوى من انطق الكس ، وصحكته الساحرة تجمل  
في المكان ..

لعبه ، قبل أن يستطرد :

- فعندما فقدت أثر ذلك القشتالي . عدت إلى قصر  
( إفرام بن إسرائيل ) . ووجدت أن ( فهد ) قد ألقى  
القبض عليه وعلى رجاله . فيما عدا اليهودي الخبيث  
( شيلوك ) . الذي حذر القشتالي . لقد احتفى تماما  
أيضا . وكأنما انشقت الأرض وابتلعتة .

قال الأمير في ضيق :

- لا ريب أنه فر منذ الدقائق الأولى للقتال : فأمثاله  
لا يجازفون بأرواحهم قط .

قال ( فارس ) في شيء من الحدة :

- ولكن أين اختفى ذلك القشتالي ؟ ... لقد انطلقت  
خلفه بعد زمن قصير ، ولم أجد له أثرا .

أجابه الشيخ في رصانة :

- هناك عميل آخر للقشتاليين في المنطقة

قال ( فارس ) في دهشة :

- كيف ؟ . ( إفرام ) كان اليهودي الوحيد في  
المنطقة .

رفع الشيخ رأسه إليه ، قائلا :

- الخيانة لا تقتصر على اليهود وحدهم يا ولدي

هتف ( فارس ) مستكبرا :

- رباه ! . هل تعتقد أنه من الممكن أن يخوننا  
عربي ؟ !

زفر الشيخ في أسف . قبل أن يقول في مرارة :

- كيف تظننا خسرنا ( قرطبة ) إذن ؟

اتسعت عينا ( فارس ) في ارتياح ، في حين أومأ  
الأمير برأسه موافقا ، وهو يغمغم أسفا :

- أنت على حق أيها الوزير . أنت على حق .

ابتلع ( فارس ) انفعاله ، وهو يسأل :

- لو أنه اختفى في هذا المكان ، ألا يمكننا تفتيش  
المنطقة كلها ، و ...

قاطعه الأمير في حزم :

- هذا مرفوض تماما ، فقد سبق أن أخبرتكما أن هذا  
كفيل بآثارة زعر وقلق لا مبرر لهما .

قال ( فارس ) في ضيق :

- كيف نحر عليه إذن ؟

أشار إليه الشيخ ، قائلا في رصانة :

- استخدم شبكة الاتصالات ، التي صنعها ( فهد ) .  
فالخدم يحملون من الأسرار ما يجهله ساداتهم

هز الأمير رأسه ، قائلا :

- سيظل أسلوب شبكة المعلومات هذا يدهشني بشدة



أيها الوزير كيف جاءت فكرة تنسبه بخاطرك ؟

اجابه الشيخ بكل رصانة ووقار :

- لم يكن هناك أسلوب سواه ، لجمع كبير قدر من المعلومات ، دون ان افارق مخيمى يا مولاي ( ابن الاحمر ) . ومن يرى " ربه أصبحت هذه فى المستقبل ، وسيلة او قاعدة اساسية لجمع المعلومات ( \* )

اما ( فارس ) . فلم يبد عليه الاقتناع هذه المرة . وهو يقول :

- اظنه سيلتزم الحذر بشدة هذه المرة . ولن يمكننا الحصول على معلومات مهمة من الحدم  
قال الشيخ :

- لا توجد وسيلة اخرى يا ولدى . فلا أحد رأى وجهه ، ولا أحد يعلم هويته .

شرد بصر ( فارس ) لحظات . وهو يتمتم  
- نعم .. لا أحد رأى وجهه .

ثم استدار فى حركة حادة ، وهو يقول :

( \* ) عرف هذا الأسلوب جيد بعد من حلت جبهة المحاربات

- اغفر لى يا سيدى الشيخ اغفر لى يا مولاي .  
فلدى مهمة عاجلة .

واتطلق بعدو عبر طرقات القصر . حتى بلغ بوابة  
الخارجية . حيث ينتظره ( فهد ) . فاستدركه . قائلاً .  
- تعال يا ( فهد ) لدى مهمة عاجلة لك .

استمع ( فهد ) إلى تفاصيل المهمة جيداً . دون ان  
ينبس بحرف واحد ، ثم وثب على متن جواده . واتطلق  
به لا يلوى على شيء ..

لقد أسند إليه ( فارس ) مهمة بالغة الأهمية . و  
والخطورة ..

\* \* \*

هبط الظلام بسرعة . فى ذلك اليوم ، مع السحب  
الكثيفة ، التى حجبت قرص الشمس ، بعد منتصف  
النهار ، وخلت الطرقات أو كادت فى ( غرنطة ) . مع  
زخات المطر المستمرة . على نحو لم يعهده طقس  
المدينة الاندلسية . فى مثل هذه الفترة من العام

وتحت المطر . تحرك ( شيلوك ) فى خطوات سريعة .  
وهو يخفى وجهه بثام كثيف . لا يظهر منه سوى زوج  
من الاعين . يطر منهما خبث الدنيا كله ، ويتلفت حوله  
فى توتر بالغ . حاملاً لفة كبيرة . اتجه بها الى أحد

المنازل في المنطقة ، وطرق بابيه في عصبية ، وانتظر  
حتى سمع صوت جارية تصأل :

- من بالباب ؟!

أجابها متوترا :

- ان باع الثياب الجديد . افتحى بسرعة

ولم تكد الجارية تفتح الباب ، حتى دلف إلى الداخل  
في سرعة ، وهو يسألها :

- أين السيد ( سهم ) ؟

رفعت القنديل الذي تحمله قليلا ، ليغمض الضوء  
وجهه ، ويكشف لها ملامحه ، وهي تجيب .

- في حجرة الضيافة في الطابق الثاني

تركها بفتة ، وهو يتحرك في خطوات واسعة  
سريعة ، حتى بلغ حجرة الضيافة ، وقبل أن يطرق  
بابها ، سمع صوت ( بابلو ) في الداخل ، يقول باللغة  
العربية ، التي يجيدها إجادة تامة :

- لا أريد ان يعلم خادم واحد بوجودي هنا ، فمن  
الواضح انهم يحصلون على معظم معلوماتهم من  
الخدم ، الذين ينتشرون في كل مكان . فتنجعل تعاملاتنا  
كلها من خلال الحوارى ، فهن لا يعادرن المنزل . ويندر  
اختلاطهن بالخدم .

التصق ( شيلوك ) بالباب في حذر ، ليختلس السمع  
أكثر ، وصاحب المنزل يقول :

- لا بأس يا سيد ( سهم ) ، ولكننى لا أحب أن يستمر  
هذا الامر طويلا ، فما داموا يعلمون أنك تستهدف الأمير  
( زاهر ) ، سيصبح الامر بالغ الخطورة . ووجودك هنا  
قد يتسبب فى ...

سمع ( شيلوك ) ( بابلو ) يقطع فجأة في حزم :  
- مهلا ..

ثم تنهى إلى مسامعه وقع أقدامه ، وهو يتجه نحو  
الباب في خفة ، فأدرك أنه شعر بوجوده ، وأسرع  
يتحجج ، قائلا :

- سيد ( سهم ) .. أنت هنا ؟

فتح ( بابلو ) الباب في حركة حادة ، ورمقه بنظرة  
صارمة صامتة لهضج لحظات ، قبل أن يسأله فى  
غلظة :

- متى وصلت ؟

أجاب في سرعة :

- الآن .. الآن فقط يا مولاي .

وارتجف جسده مع تلك النظرة المخيفة ، التي يشمله  
بها ( بابلو ) ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ،  
فأسرع يدفع إليه اللفة التي يحملها ، قائلا :

- لقد أحضرت الزى الذى طلبته .

نجحت مناورته هذه فى تشييت انتباه ( بابلو ) . الذى  
اللقط اللغه فى اهتمام ، وهو يقول :  
- عظيم .

وحملها الى داخل الحجرة . حيث يجلس عربى بدين .  
رمق ( شيلوك ) بنظرة عصبية . قبل أن يغفم .  
- كيف حالك أيها اليهودى ؟

انحنى ( شيلوك ) أمامه اتحناء كبيرة منافقة . وهو  
يلمس قمة رأسه باصابعه ، قائلا فى مسكة :  
- فى خير حال يا مولاي ( حسان ) . شكرا لك .  
شكرا لك .

ازدرد ( حسان ) لعابه فى توتر ، وكأما لا يروق له  
وجود ( شيلوك ) فى منزله ، فى حين فض ( بابلو )  
اللغة : وفحص زى رجال الحراسة ، الذى أحضره  
( شيلوك ) ، قبل أن يقول فى صرامة :  
- أنت واثق من أنه نفس الزى ، الذى يستخدمه  
حراس قصر الأمير ( زاهر ) ؟

أجاب ( شيلوك ) فى سرعة :

- دون أدنى شك يا سيدى . لقد حضره رجل من  
أقاربى . يعمل عند نفس الحائك . الذى يصنع ثياب

رجال الحراسة هناك .

أوما ( بابلو ) برأسه ، قائلا :

- فيمكن . اتعزم أن تنتظرنا ابنة عمك فى الموعد  
المتفق عليه . فقد اتخذت قرارى بانتهاء تلك العملية  
بأقصى سرعة .

ورفع رأسه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن  
يضيف :

- وسأبدا رحلة العودة الى ( قرطبة ) مع الفجر

سأله ( حسان ) متوترا :

- لا تنس ما وعدنى به الميك ( فرناندو ) .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى ( بابلو ) ، وهو  
يقول :

- اطمئن يا عزيزى ( حسان ) . ستحصل على عرش

( غرناطة ) ، عندما نستعيدنا من العرب

ثم أشاح بوجهه ، مضيفا فى انكصاف :

- اطمئن

نطقها وابتسامته الساخرة تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

\* \* \*



عندما بلغ الوقت تمام منتصف الليل ، كان المطر  
 المنهمر قد بلغ ذروته . وخلت الشوارع تماما من  
 المارة ، وحتى من الجنود ، وعلى الرغم من هذا ، كانت  
 ( راشيل ) تتحرك في توتر . خارج أسوار قصر الامير  
 ( زاهر ) ، وهي تتلفت حولها مضطربة ، ومياه المطر  
 تغمرها تماما ، كما لو أنها خرجت على التو من البحر ..  
 وعند الزاوية المتفق عليها من السور ، توقفت  
 ( راشيل ) ، وأطلقت من بين شففتيها صوتا أشبه بنقيق  
 الضفادع ، ولم تكذ تنتهي منه ، حتى استقبلت أنفاسها  
 نقيقا مماثلا ، فالتفتت إليه في سرعة ، ورأت ( بابلو )  
 يغامر مكمته ، وهو يتجه نحوها في سرعة ، قائلا :  
 - هيا .. أسرعى .. قبل أن يلمحنا أحد .

سألته في دهشة ، وهي تعدو إلى جواره ، بمحاذاة  
 السور :

- لماذا لا نرتدى ثياب الحرص ؟!

أشار إلى لغة يحملها ، من القماش المشمع ( \* ) .  
 قائلا :

( \* ) في ذلك العصر ، كانوا يصيرون الشمع المسائل على الأقمشة .  
 يجعلها مقاومة للمياه ( ووتر بروف ) ، وقد شاع هذا الأسلوب في  
 المناطق الساحلية ، في صناعة الخراطة المراكب .

- ها هي ذى سارتديها في الداخل . فليس من  
 المنطقي أن يجول حارس في القصر . بثياب غمره  
 المطر .

أومات برأسها موافقة . وهي تتوقف أمام جزء من  
 السور . وتنحني لتدفع حجرا من احجاره . ثم تديره  
 رأسيا ..

وفي ببطء ، تحرك ذلك الجزء من الجدار ، كاشفا  
 فجوة . اطل منها بصيص من الضوء . جعل ( بابلو )  
 يستل سيفه في سرعة ، قائلا :  
 - أحدهم بالداخل .

أشارت إليه ( راشيل ) ، قائلة :

- كلا . لقد تركت المصباح مضاء ، ليقودنا في  
 طريق العودة .

أعاد سيفه إلى غمده ، وهو يدلف خنفا إلى  
 الفجوة ، التي أغلقها في إحكام . قبل أن تلتقط  
 المصباح ، قائلة :  
 - اتبعنى .

قادتته عبر ممر طويل إلى قاعة صغيرة . وقالت

- لهذه القاعة أربعة أبواب . كل باب منها هو مدخل  
 مرمى . لجزء من أجزاء القصر . وسنختار أكثرها أمنا .  
 ليقودنا إلى الداخل .

سألها . وهو يدل بثيابه ثوب الحرس :

- كيف كشفت وجود هذا ؟

أجابته في اهتمام :

- لقد صنعه مالك القصر الأول ، ليتمكن التسلّل خارجة وقتما يشاء ، دون أن تشعر به زوجته ، وكن جدى خادمه الأمين ، والنوحيد الذى أطعمه على ممره ، وعندما مات المالك ، لم يعد هناك من يعرف سر ذلك المكان سوى جدى ، الذى لم يبيع به لأحد من ورثة الرجل . وإنما احتفظ به كسر تتناقله عائلتى ، حتى عرفته أنا .

ابتسم فى سخرية ، وهو يضع الخوذة المعنوية على رأسه ، قائلا :

- كان جدك حصيفا على ما يبدو .

أومات برأسها إيجابا ، وهى تغمغم :

- كلنا كذلك .

ثم راحت تخلص النظر ، عبر فتحات دقيقة فى الأبواب الأربعة ، قبل أن تشير إليه ، قائلا :

- تعال .. لا يوجد أحد هنا .

ودفعت أحد الأبواب ، فأسرع يعبره إلى ممر من ممرات القصر ، وشد قامته فى ثقة واضحة ، وهو يقول لها فى حزم :



أشارت إليه ( راسيل ) ، قائلا

- ٦٥ - لقد تركت نصيحته ، يسود فى طريق العودة

- قوديني إلى حجرة نوم أميركم .

أشارت بيدها ، قائلة :

- كلاً . لا يمكننى ان أصحبك . هذا كفيل بإشارة  
الشبهات . سانتظرك هنا . واتجه انت إلى الامام . ثم  
انحرف يساراً فيميناً . وستعرف حجرة الامير فور  
رؤيتها . فعلى بابها حارسان قويان .

ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

- حارسان قويان .. آه .. عظيم .

وشد قائمته مرة أخرى ، قبل أن يقطع الممر فى  
خطوات واسعة وثقة ..

كان يتحرك دون تردد ، كما لو أنه أحد كبار حراس  
القصر بالفعل ، حتى أن حارسى باب حجرة الأمير  
اعتدلا فى احترام . عندما رأياه يتجه نحوهما مباشرة ،  
فتوقف أمامهما ، قائلاً فى حزم :

- أفسح الطريق . عندى رسالة عاجلة لمولاي  
الأمير .

بدت الدهشة على الحارسين . وقال أحدهما فى شك .

- رسالة عاجلة بعد منتصف الليل ؟

صاح به ( يابلو ) فى صرامة :

- وما موعد الرسائل العاجلة فى رأيك ايها  
المتحلق ؟!

ارتبك الرجل ، مغفماً :

- لم أقصد هذا يا سيدي ، ولكن ..

لم يستطع إكمال عبارته مع اضطرابه . فقال زميله  
بسرعة :

- ولكن الأوامر الجديدة تمنع أى مخلوق من دخول  
حجرة الأمير ، إلا بأمر مباشر من ...

قاطعته ( يابلو ) فى حزم :

- من الفارس ( مهاب ) ، قائد الأمن الجديد .. أليس  
كذلك ؟

ثم أشار إلى صدره ، مضيفاً فى قوة :

- أنا الذراع اليمنى لقائد الأمن ( مهاب ) ، وأحمل  
الرسالة العاجلة للأمير باسمه ... أفسح الطريق .

ومع لهجته الحاسمة الصارمة ، لم يملك الرجلان  
الاعتراض ، فافسحا له الطريق بانفع ، ودفع هو باب  
حجرة الأمير ، ودنف إليها ، ثم أغلقه خلفه فى إحكام ،  
وابتسم فى سخرية ، وهو ينقى نظرة على النائم ،  
مغمغماً :

- لم يكن الأمر عسيراً يا ( مهاب ) . من الواضح أن



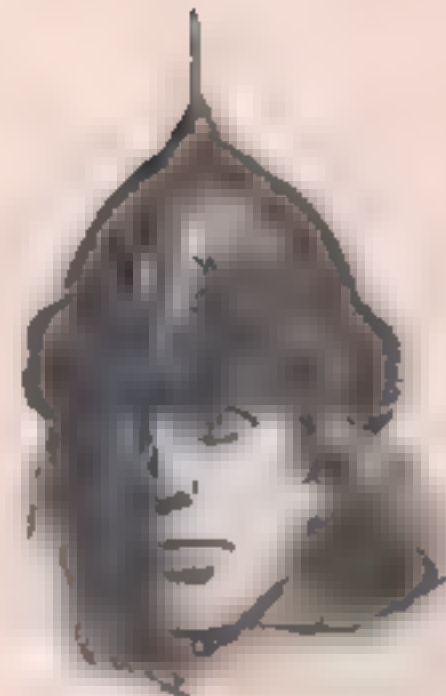
الزمن أفقدك الكثير من حنكتك وبراءتك  
قائلها ، واستل خنجره ، وتقدم نحو القرائس ، وهو  
الخنجر يطعن النائم ..

ويطعن

ويطعن

ويطعن

\* \* \*



## ٥- الماضي والحاضر ..

فجأة ، توقف ( بابلو ) عن الطعن .

وفجأة أيضا ، أدرك الخدعة ..

وفي حركة عصبية ، راح غطاء القرائس ، ثم انعقد  
حجابها ، وهو يتطوع إلى الوسط الكبيرة ، لتى مزقتها  
طعناته ، قبل أن يهتف :  
- اللعنة ! ..

وفي نفس اللحظة ، التى اطلق فيها هتافه ، تسلل إلى  
أذنيه وقع الأقدام ، التى تتجه إلى الحجرة بسرعة ، مع  
صوت يهتف :  
- إنه بالداخل .

انعقد حجابا ( بابلو ) فى غضب ، وهو يتلفت حوله  
فى سرعة ، ثم اندفع نحو الشرفة ، فى نفس اللحظة  
التي اقتحم فيها الحراس الحجرة ، وصاح قائدهم  
- ها هو ذا .

انطلق الحراس نحو ، ولكنه وثب عبر الشرفة .  
ليتعنق بالاحجار البارزة ، من جدار القصر ، وراح  
يتساقط فى رشاقة مدعشة ، جعلت قائد الحراس يهتف  
برجاله :

- لن تفيد سيوفكم استخدموا أقواسكم واسهمكم  
أسرع الرجال يصوبون سهمهم إلى ( بابلو ) . الذى  
واصر تسلقه فى مرونة . قبل أن ينطلق أول سهم  
نحوه . ويتحطم على الجدار . على قيد سنتيمتر واحد  
منه . فوثب وثبة مدهشة . ليتعلق بحافة السطح . ثم  
يقفز إليه ..

وفوق السطح . انقضض عليه اثنان من الحراس .  
ولكنه أعمد سيفه فى قلب أحدهما . ثم انتزعه ليصد به  
سيف الشاتى . قبل أن يدور حول نفسه دورة سريعة  
رشيقة . وينحنى متفديا ضربة سيف قوية . مرأت  
فوق رأسه مباشرة . قبل أن ينقض على الحارس  
الثانى . ويفوص بنصل سيفه فى معدته  
وفى نفس اللحظة . التى استزع فيها سيفه من  
الحارس . ظهر ستة اخرون . وصاح أحدهم . وهو  
يشير إليه :

- ها هو ذا .. لا تسمحوا له بالفرار .

انطلق ( بابلو ) يعدو فوق الاسوار . والحراس الستة  
خلفه . ولكنه فوجى باخرين يقطعون عليه الطريق .  
ودرك أنه وقع بين المطرقة والسندان . فتوقف لحظة .  
وقائد الحرس يهتف به :

- وقعت يا رجل .. لم يعد أمامك سبيل للفرار .  
ولكن ( بابلو ) لم يتوقف ..  
ولم يستسلم ..

لقد أنقى نظرة أسفله . ثم وثب من فوق سور  
القصر .

ولشوان . خيل للجميع أنه فضل الانتحار على  
الاستسلام . إلا أنهم أدركوا . فى الثانية التالية  
مباشرة . أنه وثب إلى شرفة أخرى من شرفات  
القصر .

ولم يكد ( بابلو ) يهبط . فى تلك الشرفة الأخرى .  
حتى نهض واقفا فى مرونة . واقتحم الحجرة التى  
تتصل بالشرفة . وتجاهل صراخ الأميرات الصغيرات .  
وهو يعدو عبر جناحين . قبل أن يغادره إلى الممر  
الكبير للقصر ..

وهناك . وجد حارسا . أدهشه أن يخرج ( بابلو )  
بغثة من جناح الأميرات الصغيرات . فأسرع يستل  
سيفه . إلا أن ( بابلو ) لم يمهل . وإنما انقضض عليه فى  
قوة . هاتفا :

- دعه فى غمده يا رجل .

ثم هوى على عنقه بسيفه فى عنف . مستطرذا فى  
سخرية :

- فلن تجد الفرصة لاستخدامه .

واتطلق يعدو عبر الممر ، حتى سمع ( راشيل ) تهتف به ، في اضطراب شديد :

- هنا .. أسرع .. أسرع .

لمحها عند نهاية الممر ، وقد أزاحت جزءا من الجدار ، وراحت تشير إليه ، فجرى نحوها بأقصى سرعته ، حتى بلغ موضعها ، و ...

ولجأة ، راها ( بابلو ) تتراجع مذعورة ، وهي تطلق شهقة فزع ..

ثم انقض عليه شخص ما من الخلف ، واتدفع معه داخل القاعة السرية الصغيرة ، قبل أن يغلق ذلك الجزء من الجدار خلفهما ..

واتفض ( بابلو ) في عنف ، ليتخلص من نراعى خصمه ، وقفز واقفا على قدميه ، وهو يستدير إليه في عنف .

وعلى ضوء المصباح الخافت ، الذي تحمله ( راشيل ) ، رأى ( بابلو ) غريمه ..

واتسعت عيناه في شدة ، وهو يهتف :

- عجباً !.. إنك تشبه رسماً قديماً !..

وصمت لحظة ، قبل أن يندلع مستطردا :

- للفارس ( مهاب ) .

استل ( مهاب ) سيفه في حركة سريعة حازمة ، وهو يقول :

- أنا هو أيها القشتالي .. ما رأيك ؟ .. أيهما أكثر تأثيراً .. الرسم أم صاحبه !؟

هتفت ( راشيل ) في ارتياح :

- إنه قائد الأمن الجديد . يا ويلتى !.. لقد كشف أمرى .

صاح بها ( بابلو ) في صرامة :

- تماسكى يا امرأة .. وماذا يهم في كشفه لأمرى ؟

ثم اتفقد حاجباه في شدة ، متابعاً :

- إنه لن يخرج من هنا حياً .

أطلت الصرامة من كل خلية من خلايا وجه ( مهاب ) ، وهو يقول :

- هكذا !؟.. ما رأيك لو اختبرت هذا بنفسك أيها الوغد ؟

هتف ( بابلو ) في نفق ، وهو ينقض عليه بسيفه :

- إتقى أتوق لهذا منذ زمن طويل .

التقى سيفاهما ، وراحا يتقارعان ويتذرلان ، وصليل السيفين يجنجلان في المكان الصغير ، و ( بابلو ) يهتف :



- فى صُبَاى ، كانوا يضربون لنا المثل بك

صاح (مهَاب) ، وهو يضربه بسيفه :

- وعندما تصل الى الجحيم ، ستعرف أنهم كانوا على حق .

تفدى (بابلو) الضربة ، وهو ينقض بدوره هاتفا .

- لست انوى الذهاب الى الجحيم مبكرا يا (مهَاب)

اذهب أنت أولا .

استقبل (مهَاب) السيف بنصل سيفه ، ودفعه فى قوة ، وهو يضرب فى رشاقة ، قائلا :

- لا صنة لى بالجحيم يا هذا أمثالك فقط يرحلون إليه .

كانت المباراة قوية ، و (بابلو) يقول :

- خطأ يا (مهَاب) . خطأ . عندما يتبارز الماضى

والحاضر ، فلا يمكن ان ينتصر القديم قط .

ثم ضرب بسيفه بكل قوته ، صاخحا :

- وأنت الماضى يا (مهَاب) .

تعالى صليل السيوف ، حتى ان قائد الحرس اتبته

إليه ، فى ممر القصر . فهتف برجاله فى صرامة :

- اصمتوا .

قائلها ، وارهف سمعه فى اتباده شديد ، قبل ان

يضيف :

- هناك مبارزة تدور فى مكان ما .

دار حول نفسه فى بطاء حذر ، بحثا عن مصدر

الصوت . قبل ان تتسع عيناه وهو يغمغم .

- أمن الممكن أن ...

بتر عبارته بغتة . ثم اندفع نحو الجدار ، والصق

أذنه به لحظت . قبل أن يتراجع هاتفا .

- رباه ! هذا صحيح هناك ممر سرى خلف هذا

الجدار .. أحضروا بعض الفوس يا رجال ، أو اضربوا

الجدار بسيوفكم ، فالمبارزة تدور فى مكان ما خلفه .

وفى نفس الوقت ، الذى انهال فيه الجنود على

الجدار ، كانت المباراة قد بلغت أوجها ، وراح (مهَاب)

يحاصر خصمه فى ركن القاعة ، قائلا :

- ألم تعرف بعد أيها القسّائى ، بأنك لست أهلا لقتال

فرسان العرب ؟!

كان (بابلو) قد أدرك قوة خصمه بالفعل ، وأدرك

صعوبة الانتصار عليه ، و ...

وفجأة ، برقت عيناه فى شدة ..

لقد لمح (راشيل) تنقّض بالتمصباح على (مهَاب)

من الخلف .

وتهوى به على مؤخرة رأسه بكل قوتها .

ومع عنف الضربة . تراجع ( مهاب ) . ودار رأسه  
فى قوة . فوثب ( بابلو ) نحوه . ودفع سيفه فى صدره .  
صائحا :

- خسرت .. خسرت يا فارس العرب .

وحاول ( مهاب ) أن يتراجع . و يقفز جتبا . ولكنه  
شعر بالام مبرحة فى صدره . ثم طعنه سيف ( بابلو ) .  
فعض شفتيه فى قوة . ليمس صرخة ألم . كادت تنطق  
من بينهما قوية . قبل أن يسقط أرضا . مضرجا فى  
دمه

وبرقت عينا ( بابلو ) مرة أخرى . وهم بضرب عنق  
( مهاب ) بسيفه . وهو يهتف فى انفعال ظافر :  
- أنا فعلتها .. أنا هزمت ( مهاب ) .

ولكن فوس الرجال وسيوفهم اخترقت الجدار . فى  
تلك اللحظة . فهتفت ( راشيل ) فى دعر :  
- أسرع يا رجل .. أسرع .

واندفعت تعدو عبر الممر . و ( بابلو ) خلفها . فى  
حين تعالى صوت فند الحرس . وهو يصرخ .  
- ألم أقر لكم " هناك فجوة خلف الجدار . أسرعوا  
يا رجال .. أسرعوا بالله عليكم .

وفى نفس اللحظة . التى حترق فيها الرجال الجدار .



ومع عنف الضربة . تراجع ( مهاب ) . ودار رأسه فى قوة . فوثب

( بابلو ) نحوه . ودفع سيفه فى صدره ..

وصرخ قائدهم :

- رباه !.. إنه القائد (مهـاب) .

كان (سابلو) و (راسيل) يغادران المخرج السرى  
للمنفق ، وينطلقان تحت المطر . ليختفيا فى ظلام  
المدينة

مدينة (غرناطة) ..

\* \* \*

لم يتوقف المطر إلا مع فجر اليوم التالى ، وغرقت  
شوارع (غرناطة) كلها بمياه الأمطار ، التى غمرت  
الطرق وأسطح المنازل ، ومنحت إيقاعا خاصا لحوافر  
(رفيق) ، وهو ينطلق بـ (فارس) عبر الطرقات ،  
متجها إلى قصر الأمير (محمد بن الأحمر) ، أمير  
(غرناطة) . وافتحت أبواب القصر أمامه فور  
ظهوره ، كما لو أن الجميع فى انتظاره . فعبرها  
بسرعة ، وتوقف فى ساحة القصر . ليقفز (فارس)  
عن صهوة (رفيق) ، هاتفا فى توتر .

- أين هو ؟!

أحابه حارس خاص . فى اهتمام واضح .

- اتبعنى يا سيدى .. إني فى انتظارك .

قاده الحارس عبر ممرات القصر إلى جناح الحكيم .

وهناك رأى (فارس) الأمير (ابن الأحمر) والشيخ .  
وحكيم القصر . ينتفون حول فراش كبير . رقد فوقه  
(مهـاب) فاقد الوعي . والضمادات تحيط بصدره كله .  
فتدفع نحوه . قائلا فى لهفة وانفعال .

- كيف هو ؟! . أخبرونى إن القشتالى طغنه فى  
صدره .

استقبله الشيخ فى رفق ، قائلا :

- (مهـاب) بخير يا ولدى . سيحتاج إلى فترة  
طويلة . قبل أن تلتئم جراحه . ويستعيد قوته . ولكنه  
بخير .. الطعنة لم تبلغ قلبه لحسن الحظ .

عض (فارس) شفتيه قهرا . وهو يقول .

- أراهن على أن ذلك النعين يحتفل الآن بانتصاره  
على قائد الفرسان .

قال الأمير فى حزم :

- لم تكن مبارزة شريفة يا ولدى . فهناك كدمة كبيرة  
فى مؤخرة رأس (مهـاب) . من الواضح أن أحدهم  
باغته بضربة خلفية . سمحت لمبارزه بطعنه بقتة

قال (فارس) فى غضب :

- يا للأوغاد !

وألقى نظرة حزينة مشفقة على (مهـاب) . قبل أن



يتابع في توتر :

- ما زلت تصر على عدم تفشيش المنازل يا مولاي  
الامير ؟

تتهد الامير ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

- ما زلت صر على انها خطوة غير مرغوب فيها .  
في الوقت الحالي يا ولدي .

عاد ( فارس ) بعض شفتيه ، قائلاً في غيظ .

- إذن فليس أمامنا من سبيل ، سوى تركه يعيش  
الفساد في ديارنا . في انتظار ضربته القادمة

سأله الشيخ في اهتمام :

- وماذا عن شبكة المعلومات ؟؟

قلب ( فارس ) كفيه ، قائلاً في حنق :

- لم ترشدنا إلى شيء هذه المرة . ولست أدرى  
كيف لا أحد رأى شيئاً ، أو سمع شيئاً ، وكأنما لم يكن  
هناك وجود لذلك القشتالي قط .

انعقد حاجب الشيخ ، وتبدت نظرة سريعة مع الامير .  
قبل ان يقول في اهتمام ، وهو يدعب لحيته بأصابعه .

- إن فقد اتنبه لنموقف من الواضح ان ذلك  
القشتالي ادعى واهرع مما كنا نتوقع او نتصور . لقد  
أدرك بسرعة ان توصفت ليه بهذه السرعة ، لا يمكن

ان يتأتى الا عبر المعلومات . التي يمكن استخلاصها  
من الخدم في الاسواق . فتخذ الحذر في المرة التالية  
سأله ( فارس ) في اهتمام :

- ولكننا نستطيع تعرفه هذه المرة . فقد راه حارسان  
في قصر الامير ( زاهر ) ليس كذلك ؟

هز الامير رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- كلا للأسف . فقد كان الضوء خافت ، وكان هو  
يرتدى خوذة الحرس . ولم يسهل عليهما تعرفه  
قال ( فارس ) في غضب :

- عظيم . هذا يعني ان ذلك القشتالي نجح في إحاطة  
نفسه بشرنقة قوية . نعجز أمامها عن التوصل إليه  
التفت إليه الشيخ بغتة ، قائلاً :

- ولكنه لم يبذل جهداً مماثلاً . من أجل ( شيلوك ) أو  
( راشيل ) .

التفت إليه الجميع في اهتمام ، وسأله الامير :

- ماذا تعني أيها الوزير ؟

أشار الشيخ بسبابته ، قائلاً :

- أعني أننا لو تتبعنا أثر ( شيلوك ) و ( راشيل ) . بدلاً  
من ذلك القشتالي . فستوصلنا المعلومات إليه حتماً  
هتف ( فارس ) في حماس :

- هذا صحيح .. كم أنت عبقري يا سيدي .

ثم التفت إلى الأمير ، مستطردا :

- اسمح لي بالانصراف يا مولاي ، فقد انتهك ذلك  
القشالي وطننا طويلا ، وحين الوقت لا يقفه  
قال الأمير في هدوء :

- وفقك الله يا ( فارس ) وفقك الله يا ولدي

واسرع ( فارس ) بفارغ الصبر ، وهو يستعد  
لمواجهة جديدة مع ذلك القشالي  
مواجهة حاسمة ..  
وأخيرة ..

\* \* \*

لم يكذ ( بابلو ) يستيقظ من نومه ، ويخرج  
لمقابلة ( حسان ) ، في الصباح الباكر ، حتى استقبله هذا  
الأخير في توتر شديد ، وهو يقول :

- سمعت أنك فشلت في اغتيال الأمير ( زاهر ) أمس

مط ( بابلو ) شفتيه ، وهو يقول ساخرا :

- لا تستخدم كلمة الفشل هذه أبدا أيها العربي . أنا  
امقتها بتمدة ، وما حدث لم يكن فشلا . واتم حاول  
هؤلاء الاوغاد أن يصبوا لي فخا . فخدعتهم أنا .  
وقد كنت اسرع فرستهم . ونجوت بحياتي منهم

قال ( حسان ) في حدة :

- ولكنهم كشفوا امرك . ويعلمون أنك هنا فسي  
( غرناطة ) .

أطلق ( بابلو ) ضحكة ساخرة مستفزة . قبل أن  
يقول :

- إنهم يعلمون منذ البداية يا رجل . ولكنهم يعجزون  
عن الظفر بي . فلا أحد منهم يعرف من أنا . ولم ير  
أحدهم وجهي واضحا قط ، وبقي على قيد الحياة .  
قال في عصبية :

- ولكنني سمعت أنهم يحاولون إجبار ( إفرام ) على  
تعرفك .. إنه يعرفك جيدا .. أليس كذلك ؟

هز ( بابلو ) كتفيه لامباليا ، وهو يقول :

- هذا صحيح .. كان يعرفني جيدا .

سرت ارتجافة في جسد ( حسان ) ، وهو يقول :

- ماذا تعني بكلمة ( كان ) هذه ؟

ابتسم ( بابلو ) ابتسامة وحشية ساخرة ظافرة ، وهو  
يجيب :

- ألم تصبك الأخبار بعد يا رجل ؟ ( إفرام ) مات  
مسموما في سجنه أمس .

انتفض ( حسان ) في ارتباك ، في حين تابع ( بابلو )  
ساخرا :

- أحد أبناء عمومته تقضى منا كومة من الذهب .  
ليرسل إليه وجبته الأخيرة في السجن

سأله ( حسان ) ، وهو يزدرد لعابه في صعوبة :

- أهو ( شيلوك ) ؟

صمت ( بابلو ) لحظات ، ثم قال في هدوء ، وهو  
يجلس إلى صينية الإفطار :

- لم يكن بإمكان ( شيلوك ) أن يفعل هذا .

اتخفض صوت ( حسان ) ، وهو يسأل :

- ولماذا ؟

ارتسمت ابتسامة على شفتي ( بابلو ) ، وهو يتناول  
بعض الطعام في صمت ، قبل أن يدفع عينيه إلى  
( حسان ) ، قائلا :

- هل تعلم ؟ . عندما خرجت من هنا أمس ، لم تكن  
لدى ذرة واحدة من الشك ، في أنني سأنجح في اغتيال  
أميركم في فراشه ، ثم أعود بعدها إلى ( قرطبة )  
ظافرا ، وفي الوقت نفسه كنت أشعر أن ( شيلوك ) هذا  
شخص لا يمكن الوثوق به أبدا ، ولو أنني تركته  
خلفي ، فلن يتردد في بيعي لأول من يدفع ثمننا مناسبا .

اتسعت عينا ( حسان ) في ارتياح ، وهو يقول :

- هل تعنى أنك .. ١٢

لم يستطع إكمال عبارته ، فهز ( بابلو ) كتفيه ، قائلا  
في هدوء ، وهو يواصل تناول طعامه :

- آتني أكره نقاط الضعف .

حدق فيه ( حسان ) ، في مزيج من الذعر والهلع  
والاستنكار ، فرفع ( بابلو ) عينيه الساخرتين إليه ،  
قائلا :

- لم لا تتناول طعامك ؟

ارتبك ( حسان ) ، قائلا :

- لقد سبقتك .

ثم ازدرد لعابه في صعوبة ، قبل أن يسأله :

- هل تنوى تكرار المحاولة ١٢ ، أعنى هل ستذهب  
ثانية إلى قصر الأمير ( زاهر ) ، و ...

قاطعه ( بابلو ) في حزم :

- لم يعد هذا ممكنا .. لقد انكشف أمر ( راشيل )  
ونفقتا السرى ، ولم يعد أيهما مفيدا .

ارتجف ( حسان ) ، وعجزت الكلمات عن الخروج من  
بين شفتيه ، وهو يتطلع إلى القسّالى ، الذى رفع عينيه  
إليه ، وقرأ ما يدور في ذهنه ، فابتسم قائلا :

- ما تفكر فيه صحيح .

شهق ( حسان ) ، هاتفا :



- حقاً؟! .. هل قُلتَ (راشيل) ؟!

هز (بابلو) كتفيه . وهو يقول بلا مبالاة :

- ألا ينطبق عليها ما انطبق على (شيلوك) ؟

صمت (حسان) بضع لحظات ، وهو يراقب النقشألى . الذى يواصل تناول طعامه فى هدوء شديد . وكأنه لم يزهق كومة من الارواح منذ ساعات معدودة . وخيل إليه أن دوره ات لا ريب فى القصة . فارتجف جسمه من قمة راسه . وحتى اخمص قدميه . وهو يقول :

- سيد (سهم) صدقتى . إننى أتمنى لك النجاح فى مهمتك . ولكنك تقول إنك لم تعد تستطيع دخول القصر . ولم

قاطعه (بابلو) ساخرًا :

- وما حاجتى لدخول القصر ؟

هتف (حسان) فى دهشة :

- ألم تقل إن ...

قاطعه مرة أخرى فى حزم :

- أنا لا أكرر الموقف نفسه مرتين قط

وابتسم فى خبث وصح . وهو يستطرد :

- ثم إن لدى خطة مضمونة . خاصة وأن غدا الجمعة .

سأله (حسان) فى حذر :

- وما الذى يجعل ليوم الجمعة أهمية خاصة ؟!

صمت (بابلو) لحظات . قبل أن تتسع ابتسامته .

ويقول :

- كنكم تخرجون فيه . لأداء صلاة الجماعة كما

تسمونها .. أليس كذلك ؟!

اتسعت عينا (حسان) فى ارتياح . وهو يهتف :

- هل ستغفاله فى أثناء صلاة الجمعة ؟!

هز (بابلو) كتفيه . وهو يجيب :

- ولم لا ؟! .. ألا يرغب فى الذهاب إلى جنتكم بأقصى

سرعة .

قالها وانطلق بقلقه ضاحكًا ، و (حسان) يحدق فيه

فى هلع ..

لقد أدرك الآن فقط . أن ملك قشتالة لم يرسل رجلاً

عاديًا لأداء تلك المهمة ..

لقد أرسل وحشًا ..

وحشًا كاسرًا .

\* \* \*

جرع الملك ( فرنادو ) كأسه في عصبية وضحة ، وهو يروح ويفقد في حجرته الواسعة ، وتابعته ( إيزابيلا ) بعينها بضع لحظات ، قبل أن تقول في شيء من الضجر :

- سوفتت يوما ذلك المزيج ، من الخمر والتوتر .

التفت إليها في حدة واضحة ، وهو يقول :

- ليس هذا من شأنك .

رفعت رأسها في اعتداد ، قائلة :

- من قال هذا ، مصرعك سيضاعف همومي حتما ،

فسأضطر لقيادة كل الجيش ، و

قال في عصبية :

- اطمئني عندما ألقى مصرعي ، سأكون قد

أوصيت بدفك معي حية ، في قبر واحد

ابتسمت في سخرية ، قائلة :

- عندما تموت ، وأصبح أنا الملكة الوحيدة

له ( قشتالة ) و ( ليون ) ، لن يبالي أحد بوصيتك .

اتعقد حاجباه في غضب شديد ، وهو يرمقها في

مقت ، قائلا :

- لماذا تتعمدين استفزازي يا ( إيزابيلا ) ؟

أساءها أن خاطبها باسمها مجردا ، ولكنها اندفعت

تجيب في حدة :

- لأدفعك إلى الإفصاح عن سر توترك الشديد

يا ( فرنادو ) .

مط شفتيه محنقا ، وأشاح بوجهه عنها ، ولأد

بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يقول في عصبية :

- ( بابلو ) لم يرسل أية رسائل ، منذ وصل إلى

( غرناطة ) .

سألته في دهشة :

- أمن المفترض أن يرسل رسائله يوميا ؟

قال في توتر :

- من المفترض ألا يستغرق منه الأمر سوى ليلة

واحدة في ( غرناطة ) .

بدت عليها علامات التفكير بضع لحظات ، قبل أن

تقول :

- ربما فشل في مهمته .

هتف ( فرنادو ) في ثورة مباغتة :

- مستحيل !

ثم صب لنفسه كأسا أخرى ، وهو يضيف متوترا :

- لا يمكن ان أخسر فارساً مثته . إنه أفضل رجالي  
على الإطلاق .

رغمته بنظرة طويلة صمته . قبل ان تسأله :

- هل تشعر بالقلق على الفارس ، أم على المهمة ؟

جرع كاسه دفعة واحدة . واحتقن وجهه بشدة . وهو

يجيب في صوت مبحوح :

- على الاثنين معا .

والتقط نفساً عميقاً . قبل ان يستطرد :

- المهمة أيضاً بالغة الأهمية . لقد سئمت انتظار

اللحظة المناسبة . أريد أن أحطم رموز التضال عند

العرب . ثم أنقض عليهم دفعة واحدة ، وأسحقهم  
سحقاً .

قالت ( إيزابيلا ) في اهتمام :

- ربما كان هناك سبب آخر للتأخير .

سألها في انفعال :

- مثل ماذا ؟

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب :

- ربما لم يستطع إتمام مهمته بعد . وما زال ينتظر

إتمامها ، ليرسل إليك الخبر .

التقى حاجباً ( فرناندو ) طويلاً ، قبل أن يهز رأسه

في حماس . قائلاً :

- تفسير منطقي .. منطقي للغاية . خاصة وأن

( بابلو ) يتميز بعناد لا حد له . لن يقبل التراجع قط .

قبل الفوز بالنصر في المهمة .. هذه واحدة من أفضل

صفاته .

أجابته ( إيزابيلا ) :

- هذا لو أنه نجح .

بدا الغضب على وجهه . وهو يقول في حدة :

- ماذا تعنين بهذا ؟

أجابته في هدوء :

- أعني أن العناد سيصبح أجمل وأفضل صفاته ، لو

أنه قاده إلى الفوز بمهمته ، أما لو فشل ، فسيكون قد

قضى نحبه بسبب عناده ..

وارتفع رأسها في اعتداد أكثر ، وهي تضيف في

حزم :

- عناد لم يمكن كبحه في الوقت المناسب .

وتضاعفت نبرة الحزم في صوتها ، مع استطرادتها

الأخيرة :

- عناد مدمر .

ولم يعنى ( فرناندو ) هذه المرة بحرف واحد

\* \* \*





عند حاج شيخ في هتمام ، وهو يستمع لى ( فارس )

انعقد حاجبا لشيخ فى هتمام ، وهو يستمع الى  
( فارس ) . الذى يقول سلحة ملوحد الحق والضيق  
- ولقد عثروا على جتى ( شينوك ) و ( راشيل ) فى  
الساعات الاولى من الصبح . دخل جوالين فى  
السوق . وكل محاولات لتعقب ذلك القتل باءت  
بالفشل لا احد من الخدم راه او سمع شيئا عنه  
هز الأمير رأسه ، قائلا :

- هذا القتل ليس سهلا . انه وحش كسر يمشى  
على قدمين . انا لم ارفى حياتى كلها رجلا يقتل بهذه  
السرعة والبساطة .

أجابه الشيخ فى هدوء :

- انه يرفض ترك أى اثر خلفه .

قال ( فارس ) فى ضيق :

- ويبدو انه نجح فى هذا بالفعل .

تطلع إليه الشيخ بنظرة مشفقة . قبل أن يقول فى  
خفت .

- انه لن يختبئ إلى الأبد .

أجابه ( فارس ) :

- هذا صحيح . ولكن لا نعرف متى وأين سيضرب  
ضربته القادمة .

قال الأمير في حزم :

- أنا أعرف متى وأين .

التفت إليه في اهتمام ، فتابع على الفور

- الأمير ( زاهر ) سيخرج غدا لصلاة الجمعة ،

وسيلقي خطبته بعدها كالمعتاد ، لحث الناس على

التصدي للعدو القشتالي

هتف ( فارس ) :

- ولكن هذا مستحيل .. الصلاة تقام في مساحة

مكشوفة ، وهو يميل إلى إلقاء خطبته وسط الناس ،

وهذا يجعله هدفا سهلا لأي شخص . يندس بين

الجموع .

تنهد الأمير ، قائلاً :

- لقد شرحت له هذا ، ولكن لا يمكنك تصور مدى

إصراره وعناده . إنه يرفض الفكرة كلها ، ويؤكد أنه

ما من انتحاري يجروا على اغتياله ، وسط كل من

يحيطون به : لأنه يعلم أن الناس سيمزقونه إربا لو

فعل

قال ( فارس ) في توتر :

- ربما لا يعنى قاتله كثيرا ما يمكن أن يصيبه ، بعد

أن يتم مهمته .

قال الأمير :

- لقد ناقشته في هذا أيضا ، ولكن حديثه أثار مزيدا

من عناده ، فهو يرى أنه لو أن القاتل لا يهتم بمصيره ،

فمن الأجدى ألا يهتم هو نفسه بما يمكن أن يصيبه ،

مادام يفعل ما يؤمن به ، ويؤدي رسالته على أكمل

وجه .

هز الشيخ رأسه ، وهو يقول في وقار :

- الأمير ( زاهر ) طراز نادر من الرجال ، ولن

يتراجع عما ينتويه قط .

قال ( فارس ) في دهشة :

- حتى ولو كان الثمن هو حياته .

ابتسم الشيخ ، مغفما :

- حتى ولو كان كذلك .

صمت ( فارس ) لحظات مفكرا ، ثم قال :

- في هذه الحالة ، ليس أمامنا سوى تشديد الحراسة

حوله ، وتأمين سلامته بقدر استطاعتنا .

قال الأمير في حزم :

- هذا ما أصدرت أوامري بشأنه . ستخرج فرقة

كاملة لحراسة الأمير ( زاهر ) ، وهو يؤدي صلاة

الجمعة ، ويلقي خطبته في الجماهير .

سأله (فارس) :

- وهل سيدخلون المسجد بسيوفهم ؟

هز رأسه نفيا ، وهو يجيب :

- لن يخرجوا حتى ترى زعم الرسمى سيحيطون به  
لحميته فى تيب عذبة حتى يسو كمجموعة من  
المصلين ، ولا يلتفتوا إليه الانتباه .

قال (فارس) ، وهو يومئ برأسه :

- أتعلم أن يفلح هذا .

وعند تجوزت العارة سفينه . وتسلت إلى ذبيه .  
أدرك على الفور أنه لم يستطع كتمان مشاعره ، اتى  
خرجت معها ..

لقد كانت لهجته تحمل الكثير من القلق والحدز .

و ...

والخوف ..

\* \* \*

تزايد التوتر واضطرب (حسان) . وراح يتصاعد  
تدريج . منذ هبوط اليز . حتى بلغ حد مخيفا مع قرب  
منتصف الليل . دون أن يعمض نلرجس جفن . أو يتوقف  
لحظة واحدة عن تدورن فى حجرته كاتطاحونة  
القديمة ..

كان واتقا من ن (بابو) لا يدخر له خيرا . بعد  
انتهاء مهمته .

لقد هاله ما فعله بـ (شينوك) و (راسيل) . بعد أن  
انتهت حاجته اليهما . وقرر فى نفسه ن مصير د لن  
يختلف كثيرا عن مصيريهما ..

ولكنه لا يدري ما الذى يمكنه فعله !!..

هز ييدر بقتل (بابو) . قبل أن يقتله ؟

أم يبلغ الأمير بشأنه ؟!..

إنه يخشى أن يسعى لقتل ذلك القشتلى ، فتفشل  
محاولته . ويفقد حارسه الخاص . ويصبح معرضا  
لانتقام (بابو) ..

ولا ريب فى أن انتقامه سيكون رهيبا .

إنه لن يتردد لحظة واحدة فى تمزيقه إربا . وإلقاء  
جثته لكلاب الطرقات . دون أن يظرف له جفن

وارتجف جسده فى رعب هائل . وهو يتحيل ما يمكن  
أن يفعله به (بابو) . وامتقع وجهه فى شدة . وهتف  
بصوت خافت :

- لا .. لا .. الفكرة غير صائبة بالتأكيد .

ولكن بارحة فكرة القتل . لا تبقى أمامه سوى فكرة  
وحيدة ..



إبلاغ الأمير ..

ومرة أخرى ، ارتجف جسده في قوة ..

كيف سيبلغ الأمير ؟ ..

وبهم سيبرر موقفه ؟ ..

كيف يقطع حياته لم يتعاون مع النفساني منذ البداية ؟ ..

لا بد أن يجد وسيلة ..

لا بد

« لم تفكر يا ( حسان ) ؟ .. »

باعتبه السؤال ، وهو غارق في أفكاره ، فاستفض في

قوة ، وقفز من مكانه ، وهو يطلق شهقة قوية ، هاتفا :

- سيد ( سهم ) ؟ ..

وتراجع ملتصقا بالجدار ، وهو يرتجف في هلع ،

والرعب يطل من عينيه واضحا ، مع تحديق في وجه

( بابلو ) ، الذي اقترب منه في بظء ، ووجهه يحمل

ابتسامة مخيفة ، حتى كاد يلتصق به ، وتطنع إلى عينيه

مباشرة ، قائلا في بظء :

- هل أخفك إلى هذا الحد ؟

اتسعت عينا ( حسان ) في هلع ، وتجمدت الكنيمات

على طرف شفقيه لحظة ، قبل أن يغمغم بصوت مختنق

مبحوح :

- ولماذا تخيفتي يا سيد ( سهم ) ؟

قال ( بابلو ) في بظء مخيف :

- أخبرتي أنت .

حاول ( حسان ) أن يزدرد لعابه ، إلا أنه عجز عن

هذا تملم ، فاختنق صوته ، وهو يقول :

- لا أحد يخاف صديقا يا سيد ( سهم ) .

تطلع ( بابلو ) إلى عينيه لحظة في صمت ، وكاد

( حسان ) يسقط صريع الرعب والفزع ، خلال تلك

اللحظة ، قبل أن يتراجع ( بابلو ) ، مكررا :

- أنت على حق .. لا أحد يخاف من صديق .

ثم ابتعد بضع خطوات ، وتابعه ( حسان ) ببصره ،

وقد احتبست أنفاسه ، وراح قلبه يخفق في عنف ، حتى

ألقي ( بابلو ) جسده على أريكة واسعة ، وسأله :

- أين اعتاد الأمير ( زاهر ) أداء صلاة الجمعة ؟

أجابه ( حسان ) متحشرجا :

- في الساحة الكبيرة وسط المدينة . إنه يؤدي فيها

الصلاة ، وبعدها يقف خطيبا ، ويلتف الجميع حوله

ثم سأله في حذر :

- هل تفكر في التسلسل وسط الجموع ، وقتله غيلة ؟

ارتسمت على شفقي ( بابلو ) ابتسامة ساخرة ، وهو

يقول :

- التسلل وسط الجموع ؟!

و نفجر ضاحكا . على نحو ارتجف له جسد  
( حسان ) ، قبل أن يضيف :

- كلا يا رحر . لست أظننى أفعل هذا . إنها فكرة  
ساذجة للغاية . كيف تطعن خطيبا وسط مستمعيه ؟

إنهم لن يتورعوا عندئذ عن تمزيقك إربا

سأله ( حسان ) فى خفوت :

- كيف يمكنك قتله إذن ؟

رمقه ( بابلو ) بظرة طويلة . قبل أن يقول فجأة فى  
سخرية :

- أما زلت ملتصقا بالجدار ؟!

انتفض جسد ( حسان ) ، وهو يبتعد عن الجدار فى  
حركة حادة ، قائلا :

- كلا يا سيد ( سهم ) . كلا . لم أعد كذلك .

قهقه ( بابلو ) ضاحكا فى سخرية . ونهض قديلا :

- هذا أفضل

ثم اتجه إلى خارج المكان فى خطوات هادئة . ولم  
يكذب يبلغ مخرجه . حتى توقف لحظة . ثم التفت إلى

( حسان ) فى بطاء . قائلا بابتسامة ساخرة .

- تم جيدا .

وغادر المكان فى حركة سريعة ، فالتسعت عيننا  
( حسان ) فى منع . وظل جسده ينتفض لحظات . قبل  
أن يفهم :

- هذا الرجل سيقتنى حتما . لن يتركنى حيا أبدا

وراح يفرك كفيه . وهو يدور فى المكان كالمجنون .  
وقد وقر فى نفسه أنه الضحية القادمة للقشتالى حتما .  
وأخذ يحدث نفسه ، مغمما :

- إنه يجبرنى على معاونته .. نعم .. هذا هو التفسير  
الأمثل .. سأخبرهم أنه أجبرنى على مساعدته . لقد  
احتل منزلى ، وهددنى بالقتل ، لو أهنت الأمير بشأنه .  
إنها أفضل فكرة .

وعاد يدور فى المكان ، وهو يبحث عن وسيلة لإبلاغ  
الأمير بهذا ..

لن يمكنه بالطبع الذهاب بنفسه ..

( بابلو ) لن يسمع له ..

ثم إن هذا لن يبدو منطقيا ..

الأفضل أن يرسل رسولا إلى قصر الأمير .

ولكن . هل يرسله فى هذه الساعة المتأخرة ؟

بالطبع . لا بد أن يرسل رسوله فى مثل هذه

الساعة ..

هذا يجعل الأمور أكثر قوة ، وأكثر منطقية .

من الطبيعي أن يعجز عن إرسال رسوله في ساعات  
النهار العادية .

سينتظر حتماً حتى ساعة متأخرة ..

راقت له الفكرة ، وبدأت منطقية للغاية ، فاجتأحه  
الانفعال ، وراح قلبه يخفق في عنف ، وهو يتسلل إلى  
جناح الحريم ، ويوقظ حاريتة ، هامسا :

- تعالى .. أريدك في أمر عاجل .

تذهبت الجارية ، ولعلمت نفسها ، قائلة :

- أمر مولاي .

اصطحبها إلى خارج الجناح ، وهمس لها في انفعال :

- أريد منك أن تذهبي إلى قصر الأمير ( ابن الأحمر ) .

هتفت في دهشة :

- الآن .

قال في عصبية ، وبصوت شديد الخفوت :

- اخفضي صوتك يا امرأة . نعم . أريد منك أن

تذهبي الآن . لن يفيدني ذهابك في أي وقت آخر .

كانت دهشتها كبيرة ، ولكنها قلت صاعرة :

- أنا رهن إشارة مولاي .

مال نحوها ، قائلاً في انفعال :

- اذهبي إلى هناك بانقصى سرعة ، وأبلغهم الرسالة  
القالية .

وراح يعلبها ما ينبغي قوله للأمير ، بحيث يبدو  
وكأنها تستجيب به : لإنقاذ سيدها من ذلك القشتالي ،  
الذي احتل منزله بنقوة ، وأجبره على التعاون معه ، ثم  
قادها إلى باب المنزل ، قائلاً :

- هيا .. انطلقى .

غادرت المنزل ، فأغلق الباب خلفها في إحكام ، وعاد  
إلى جناحه في سرعة وخفة ، لا تتفقان مع بدائته  
الواضحة ، وألقى نفسه فوق أول أريكة صادفته ، وهو  
يلهث في شدة ، من فرط التوتر والانفعال ، وهو  
يتسائل ..

هل تنجح حاريتة في مهمتها ؟ ..

هل تبلغ الأمير ؟ ..

لو أنها فعلت ، يكون هو قد نجا ..

صحيح أن ملك ( قشتالة ) قد وعده بعرش  
( غرناطة ) ، ولكن كل شيء يبدو له الآن مخالفاً لما  
كان ينتظره أو يتصوره ..

لقد اتضحت له الرؤية ، بعد فوات الأوان ، وأدرك أن  
القشتاليين لن يمنحوا امتيازاً واحداً للعربي



أنهم يسعون للبحث عن يتعاون معهم ، ويفتح لهم  
السييل إلى ( غرناطة ) ، وإلى إحكام قبضتهم على  
( الأندلس ) كلها ، مقابل وعود كبيرة ، لا ينوون الوفاء  
بها قط ..

هذا ما تكشف له الآن ..

خوفه من ( بابلو ) أزال العشاوة عن عينيه ، وجعله  
يرى الموقف في وضوح تام ، و ...  
« لم تتم بعد أيها العربي ؟ .. » ..

اخترق صوت ( بابلو ) أذنيه كسهم مسموم ، جعله  
ينتفض في هلع ، ويهتف :  
« سيد ( سهم ) ؟ »

وكاد يصرخ في رعب ، عندما استل ( بابلو ) سيفه  
من غمده ، وسقطت من النصل قطرة من دم طازج ،  
وهو يقول :

« هل يمكنك تعرف هذا الدم يا ( حسان ) ؟ »

تجمد ( حسان ) في مكانه ، وكاد قلبه يتوقف عن  
النبض ، و ( بابلو ) يدنى السيف من عينيه ، قائلا :  
« انظر إليه جيدا .

ثم انعقد حاجب القشتاني في صرامة مخيفة ، وهو  
يستطرد :

« إنه دم جاريتك .

أطلق ( حسان ) صرخة مكتومة ، وراح جسده  
يرتجف في عنف ، وترقرقت الدموع في عينيه .  
و ( بابلو ) يقول في غضب :

« لقد أرسلتها لتبلغ الأمير بأمرى . أليس كذلك ؟ »

يكى ( حسان ) ، وهو يقول في ضراعة .

« سيد ( سهم ) . لا بد أن تفهم أنا لم أقصد ... »

قاطعه ( بابلو ) بسرعة :

« لا تحاول يا ( حسان ) .. جاريتك أخبرتني كل

شيء ، قبل أن أجتز عنقها ، وألقى رأسها للكلاب .

انهمرت دموع ( حسان ) في غزارة ، وهو يقول :

« الرحمة يا سيد ( سهم ) .. الرحمة .

جلس ( بابلو ) على مقربة منه في هدوء ، وهو يقول :

« هل تعلم يا ( حسان ) ؟ ! كنت أتوقع هذا منك .. »

أنت خائن لوطنك ، والخونة جميعهم يتميزون بأمر

واحد . أنهم جبناؤ غرارون .. لا يتورعون لحظة عن

طعن أقرب المقربين إليهم في ظهورهم . للفوز بغنيمة

بسيطة . ولأنك خائن ، كنت أتعامل معك بحذر ، فمن

يخون وطنه ، لا يمكنه قط أن يعرف الوفاء مع

الآخرين ..

سقط ( حسان ) أرضاً ، وأمسك قدم ( بابلو ) ، هاتفا :  
- سافعل كل ما تأمرني به يا سيد ( سهم ) . كل  
ما تريد .

هز ( بابلو ) رأسه في بطم ، قائلاً :

- ثم أعد احتاج إليك للأسف يا ( حسان ) تماماً  
مثلما لم أكن بحاجة إلى ( شيلوك ) و ( راشيل )  
اتسعت عينا ( حسان ) في رعب هائل ، وهو يهتف :  
- ( شيلوك ) و ( راشيل ) ؟ !

رفع ( بابلو ) سيفه ، قائلاً في صرامة .

- نعم يا ( حسان ) لم أعد بحاجة إليك أيضاً .

وهوى سيفه على عنق الخائن ، ثم هتف :

- أرايت يا ( حسان ) . دعائك أنتفت ثوبى .

ودفع الجثة بعيداً ، وهو ينهض مستطرداً في  
سخرية :

- ولكننى سأسامحك لهذا ، ولن أعاقبك من أجله .

وفي هدوء ، مسح نصل سيفه في ثياب الرجل ، ثم  
غادر المنزل كله ، وهو يحمل قوسه وجعبة أسهمه  
على كتفه ، وقفز على صهوة جواده ، قائلاً له :

- هيا أيها الجواد سنستعد لآخر خطوة في المهمة  
كلها .

قد الجواد في طرقات ( غرناطة ) ، حتى بلغ الساحة  
الكبيرة ، فدار حولها قليلاً ، وهو يفحص المنازل  
المحيطة به ببصره ، حتى اتفى من بينها منزلاً ، اتجه  
إليه بجواده ، وتوقف إلى جواره ، ثم نهض يقف فوق  
الجواد ، ووثب يتعلق بحافة سطح المنزل ، ثم دفع  
جسده إليه ، وركد فوقه ، وقال للجواد :

- ابتعد أيها الجواد . اختلط بالجياد في المنطقة ،  
ولكن كن يقظ طوال الوقت ، فربما أحتاج إليك في أية  
لحظة .

ابتعد الجواد بتفعل ، وكئبه فهم العبارة ، في حين  
خنع ( بابلو ) قوسه عن كتفه ، واتزرع سهماً من  
جعبته ، وركد ينتظر اتبلاج الصباح ، واقترب موعد  
صلاة الجمعة ، حيث سينفذ آخر عملية في مهمته ..  
مهمته القاتلة .



## ٧.. رأس السم ..

انتشر جنود أمير ( غرناطة ) ، حول الساحة الكبيرة ،  
في ثياب مدنية ، تحت قيادة كبير فرسان القصر ، الذي  
قال لهم في حزم :

- لا أريد أن يشعر شخص واحد بوجودكم .. راقبوا  
كل غريب ينفذ انتباهكم ، وكل شخص تشتبهون في  
أمره ، وكونوا على أهبة الاستعداد في كل لحظة ..  
لا تسمحوا لأحد بالاقتراب من الأمير ( زاهر ) أكثر  
مما ينبغي ، وخاصة لو أنه يحمل سلاحا ، ولا تنتظروا  
اللحظة الأخيرة للتدخل .

سأله أحدهم في اهتمام :

- وماذا عن صلاة الجمعة ؟

أجابه كبير الفرسان في حزم :

- إنها الفترة التي تحتاج منكم إلى جل انتباهكم ، فلو  
أن أحدهم يسعى لاغتيال الأمير ، فلن يجد فرصة أفضل  
من استغراق الأمير ومن خلفه في صلاتهم ، وخشوعهم  
في سجودهم وركوعهم .

قال الرجل في قلق :



ثم يصر بعنف في حواد ووثب سعلو خلفة مطيح المرل ، ثم  
دفع جسده إليه ..



- ولكن هذا يعنى أننا لن نؤدى صلاة الجمعة

أجابه كبير الفرسان فى حزم :

- إنها حرب يا رجل ، والضرورات تبيح المحظورات .

هذا ما لقننا إياه ديننا الحنيف . ستظنون متأهبين طوال الصلاة ، وبعدها ستنقسمون الى فريقين . فبؤدى فريق صلاة الظهر ، ويواصل الفريق الثانى عمله ، حتى ينتهى الأول ، فيؤدى الصلاة بدوره . الموقف يحتاج منا إلى اليقظة الدائمة ، تماماً كالحروب .

ظهر الأمير ( زاهر ) فى هذه اللحظة ، محاطاً بحشد من الرجال ، من مختلف طوائف الشعب ، على نحو يشف عن شعبيته الساحقة ، وهو يقترب من الساحة ، فاستطرد كبير الفرسان :

- ههنا يا رجال .. الآن يبدأ عملكم .

اتجه كل منهم إلى موقعه ، فى حين تسابع كبير الفرسان حركة الأمير ( زاهر ) ، الذى بلغ الساحة بعد مسيرة بطيئة ؛ بسبب التفاف الناس حوله ، ولم يكد يصل إلى الخطيب ، حتى استقبله هذا الأخير بترحاب شديد ، وصافحه فى حرارة ، ثم دعاه إلى إلقاء خطبة الجمعة بنفسه ، ولكن الأمير ربت على كتفه ، وهو يعتذر فى دمائه . ويؤكد له أنه أحق منه بهذا ، ثم أدى

ركعتى سنة المسجد ، واتخذ مجلسه فى الصف الأول ، فى حين اتهمك رجال الأمير فى مراقبة المارة ، وإقادمين لأداء صلاة الجمعة ، ووجوه الغرباء ، ونواب المنازل المحيطة بالمكان . دون أن يخطر ببالهم لحظة واحدة ، أن خصمهم هناك ..

فوق سطح المنزل المواجه للساحة تماماً .

لقد اتخذ مكانه منذ ساعات طوان ، وقبل أن ينتهج الصباح ؛ لأنه يعلم أنه من المستحيل أن يصعد إلى السطح فى وضوح النهار ، دون أن يجذب إليه انتباه الجميع وشكوكهم ..

وكان كل شيء يسير كما خطط له تماماً .

إجراءات الأمن تدور على قدم وساق ، فى كل مكان ، دون أن ينتبه شخص واحد إلى وجوده ، أو براوده الشك بشأن مخبئه .

لقد صبر طويلاً لوظفر بخصمه ..

ولم يعد يفصله عنه سوى دقائق معدودة

فقط عندما تنتهى خطبة الجمعة ، وينهض الأمير مع الجميع لأداء الصلاة ، ثم يستفرقهم الموقف الروحاني تماماً ، و ...

ويطلق هو سهمه ..

ومن المؤكد أن إصابة الأمير ، فى تلك اللحظة ،  
كفيلة بإثارة كم هائل من الاضطراب والبلبله . يتيح له  
فرصة الفرار ، قبل أن تمتد إليه يد واحدة  
لقد أعد خطته فى حنكة ومهارة هذه المرة ..  
ولم يعد هناك سبيل للفشل ..  
أى سبيل ..

وفى هدوء ، التقط قوسه ، وسهما من جعبته ، ودس  
قاعدة السهم فى وتر القوس ، وجذبه فى بطء ، وهو  
يتابع الخطبة ، التى اقتربت من نهايتها ، وعينه  
لا تفارق ظهر الأمير قط ..

لقد اختار النقطة ، التى سيصوب إليها سهمه  
منتصف مؤخرة عنق الأمير بالضبط ..

وارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة ، وهو يتخيل  
الموقف ، وردود أفعال الجميع ..

ثم انتهت خطبة الجمعة ، وانطلق المؤذن يعلن قيام  
الصلاة ويدعو إليها ..

وانتهت حواس ( بابلو ) فى شدة ، عندما نهض  
الأمير مع الجماعة ، وبدأت الصلاة ..

وفى بطء ، جذب وتر قوسه ، وهو يصوب السهم إلى  
هدفه بمنتهى الدقة

كان الهدف واضحا أمامه ..

وهو واثق تمام الثقة من قدرته على إصابته .

وارتفع ( بابلو ) بجسده فى بطء ، ليحسن تسديد  
سهمه . ولم يعد أمامه سوى أن يفلت الوتر ، فينطلق  
السهم . ويستقر فى مؤخرة عنق الأمير  
وتنتهى المهمة ..

تنتهى بنجاح منقطع النظير ..

ولكن فجأة ، ظهر ذلك الفارس الشاب ، الذى يرفل  
فى ثوب ناصع البياض ، وخوذة فضية ، تنعكس عليها  
أشعة الشمس ..

ظهر بغتة من خلف الساحة ، وهو يشير إليه ،  
هاتفا :

— ها هو ذا .

كانت مفاجأة حقيقية للقشائلى ، الذى اتفقد حاجباه  
فى شدة ، وهو يفلت الوتر ، ويطلق القوس نحو  
الهدف .

ومع انطلاق السهم ، اندفع ( فارس ) نحو الأمير  
( زاهر ) بأقصى سرعته ، ثم وثب يحيط وسطه  
بذراعيه . ويدفعه معه أرضا ، فى نفس اللحظة التى  
مرق فيها السهم على قيد سنتيمترات قليلة منهما .

وفي غضب هادر ، صرخ القشتالي :

- اللعنة !

وساد الاضطراب في المكان . وهتف الإمام في

دهشة :

- ماذا يحدث هنا ؟!

ولم يكن بحاجة فعلية للجواب ، الذي بدا واضحاً

للغاية

لقد حاول أحدهم اغتيال الأمير ( زاهر )

ولم ينتظر ( فارس ) ليشرح ما حدث . وإنما نهض

في سرعة ، وانطلق يعدو نحو ذلك المنزل ، الذي يقف

فوقه القشتالي ، الذي أطلق صفيره القوي ، فظهر

جواده الأسود في المكان ، وهو يعدو نحوه ، وقفز هو

إلى متنه ، وهو يستل سيفه ، ويهوى به على عنق

أقرب جندي ، حاول الانقضاض عليه ، قبل أن ينطلق

بالجواد بأقصى سرعته ..

وهتف ( فارس ) :

- إلى يا ( رفيق ) .

وقبل أن ينتهي هتفه ، كان جواده الأبيض يشق

طريقه بين الجموع إليه ، فتعلق ( فارس ) بمعرفته .

وجرى إلى جواره لحظة . ثم وثب إلى متنه بحركة

رشيقة ، وانطلق خلف القشتالي ..

حدث كل هذا بسرعة مذهلة ، حتى أن أحد المصلين

هتف مبهوراً :

- ماذا حدث ؟! لقد أفسدوا صلاة الجمعة

انتفت إليه الأمير ( زاهر ) ، قنلاً في صرامة :

- لا أحد ، مهما علا شأنه ، يمكنه أن يفسد صلاة

الجمعة ، أو أية صلاة أخرى يا رجل . الصلاة لله

( سبحانه وتعالى ) ، وليست لبشر .

واعتدل مستطرداً :

- هيا أيها السادة . سنترك لهم مهمة السعي خلف

القاتل ، ولنكمل نحن صلاتنا .

ولم تمض لحظات على قوله ، حتى كان الخشوع

يغلف الجميع ، وهم يؤدون صلاتهم ، ويحمدون الله

( سبحانه وتعالى ) على نجاة الأمير

أما ( فارس ) ، فقد انطلق خلف القشتالي ، الذي القى

لثامه على وجهه ، وهو يشق طريقه وسط الطرقات

الخالية ، بسبب صلاة الجمعة ..

ولأول مرة ، منذ بدء مهمته ، شعر ( بابلو ) بقلق

حقيقي .

لقد اختبر خصمه من قبل . ويدرك أنه ليس بالخصم

السهل . ثم إن جواده الأبيض قوي بالفعل ، ولن يلبث



ان يصل اليه . وعندئذ سيضطر للمبرزة . ولن يكون  
هذا في صالحه أبدا . وسط مدينة تكتظ بأعدائه .  
لذا كان من الضروري ان يلجأ إلى الحيلة .  
وبسرعة . دارت عينه فيما حوله . وهو ينطلق  
بجواده . و .

وفجأة ، لمح وسيلة للخلاص ..

قائم خشبي . يبرز من الطابق الثاني لأحد المنازل  
وفي هزم . لكز ( ببلو ) . جواده . هاتفا :  
- أسرع أكثر أيها الجواد .. أكثر .

ثم رفع قدميه . واستند إلى المرج بكعبيه . وتأهب .  
و ...

وقفز فجأة ..

والواقع أن ( فارس ) لم يكن يتوقع هذه المبادرة  
قط ..

لقد انطلق بكل قوته خلف خصمه . متصورا أنه  
سيواصل المطاردة حتى أبواب المدينة . ولم يتصور  
أبدا أن القشتالي سيبتز المطاردة على هذا النحو  
العجيب ..

وأمام عينيه مباشرة . رأى القشتالي يتعلق بالقائم  
الخشبي . ثم يدور نصف جسده حوله في مرونة . قبل

أن ينتهي . وينفرد . ويقفز إلى سطح المنزل .

وجذب ( فارس ) معرفة جواده . وهو يهتف به :

- قف يا ( رفيق ) . قف . لقد خدعنا الرجل

توقف ( رفيق ) . بعد أن تجاوز ذلك المنزل بالفعل .

فأداره ( فارس ) إليه . ووقف على ظهره . ووقف

يتعلق بالقائم بدوره ..

وفي رشاقة . لا تقل عن رشاقة القشتالي . وثب إلى

السطح . ورأى ( بابلو ) يعدو بعيدا . ويقفز من سقف

إلى آخر . فاندفع نحوه . وراح يعدو خلفه . ويقفز

بدوره من سطح إلى آخر . في محاولة للحاق به .

وكان من الواضح أن القشتالي خصم لا يستهان به ..

وأن الظفر به لن يكون سهلا أبدا ..

ولكن ( فارس ) أيضا كان خصما لا يستهان به أبدا

لقد واصل المطاردة في إصرار شديد . وراح يقترب

من ( بابلو ) رويدا رويدا . على الرغم من الجهد

الهائل . الذي يبذله كلاهما . بالقفز من سطح إلى

آخر ..

وأدرك ( بابلو ) أن ( فارس ) ظافر به لا محالة . فقل

لنفسه :

- الفرار لن يفيد يا ( بابلو ) . لا مفر من المواجهة

وفي لحظة واحدة ، اتخذ قراره ، واستدار يواجه  
( فارس ) في حزم ..

وتوقف ( فارس ) في مواجهة خصمه ، واستل  
سيفه ، وهو يقول في صرامة :

- لا فائدة من محاولة الفرار أيها القشتالي لقد  
انكشف أمرك ، وانتهى كل شيء .

قال ( بابلو ) ساخرًا :

- حقًا ؟! يا لقوة كلماتك أيها العربي . إنني  
أرتجف هلعًا .

قال ( فارس ) في صرامة :

- هل ستستسلم بإرادتك . أم أضطرك لهذا ؟؟  
أجابه ( بابلو ) في سخرية :

- بل اضطرني لهذا أيها المفلوج .  
ثم انقض بفتة ، مستطردًا :

- وفورًا .

التقى سيفاهما فوق السطح ، وراحا يتبارزان في  
قوة . وسيفهما يصلصلان في المكان كله ، يلتقيان في  
قوة ، ثم يفترقان في عنف ..

كان من الواضح أنهما خصمان متكافئان إلى حد  
كبير ..

وأنه من المستحيل أن يتبأ شخص ما بنتيجة  
المبارزة ..

ونكن ( بابلو ) كن يتميز عن ( فارس ) بأمر بالغ  
الأهمية ..

بالخبث والدهاء ..  
والوحشية ..

وفي مرونة ، تراجع ( بابلو ) خطوة ، وهو يستقبل  
سيف ( فارس ) بسيفه ، قائلًا في سخرية .

- ضرباتك قوية أيها العربي ، على الرغم من صغر  
منك .

ضربه ( فارس ) بسيفه في قوة ، قائلًا :

- هذا لأنني تلقيت دروسًا على يد أقوى فرسان هذا  
العصر أيها القشتالي . الفارس ( مهاب )

انعقد حاجبا ( بابلو ) . وهو يصد الضربة بسيفه ،  
هاتفًا :

- آه .. أنت تلميذ ( مهاب ) إذن .  
ثم انقض بفتة في عنف . وهو يصرخ :

- أبلغه تحياتي في الجحيم إذن .  
كانت انقضاضة عنيفة قوية رشيقة . تراجع  
( فارس ) أمامها في سرعة ، وانحنى متفاديا نص

السيف القوى ، وهو يدفع قدمه إلى الخلف ، و ..

وفجأة ، غاصت قدمه في الفراغ ..

لقد تجاوز حافة السطح ، دون أن يدري ، فاختل توازنه ، و ...

وهوى ...

وفي نفس اللحظة . التي سقط فيها من السطح . انطلقت ضحكة ( بابلو ) الساخرة ..

ضحكة استفزازية عنيفة ، اخترقت قلب ( فارس ) . قبل أن تخترق أذنيه ، وهو يدفع يديه إلى الأمام . محاولا التعلق بأي شيء ..

أي شيء ..

ولكن زاوية سقوطه لم تكن تمنحه الفرصة لهذا .. لذا فقد هوى إلى الأرض مباشرة .

ومن حسن حظه أن الارتفاع لم يكن يتجاوز الطابقين ..

ثماتية أمتار فحسب . قطعها جسده في لحظة واحدة . قبل أن يهبط على قدميه . ثم يسقط على ظهره . وضحكة ( بابلو ) الساخرة تبتعد ، وتبتعد .

وفي نفس اللحظة . ظهر الجنود ، وهم يعدون نحوه ، فهتف بهم :

— إنه على السطح أعنى فوق الأسطح .. الحقوا به . وبسرعة ، تسلق الجنود ما يحيط بهم من منازل ، في محاولة للحاق بالقشتالي . إلا أن هذا الأخير لم يكن هناك .

لقد اختفى هذه المرة أيضا ..  
اختفى تماما ..

\* \* \*

« لست أدري أين ذهب هذه المرة .. »  
نوح ( فارس ) بذراعيه في توتر ، وهو ينطق العبارة الأخيرة ، فهز الشيخ رأسه في وقار ، وهو يقول :  
— لا بأس يا ولدي .. لا بأس .. يكفيك ظفرا أنك أفسدت خطته ، وأنقذت الأمير ( زاهر ) في اللحظة الأخيرة .

قال ( فارس ) في ضيق :

— معذرة يا سيدي ، ولكنني أعتقد أن هذا وحده لا يكفي ، فإدام ذلك القشتالي هنا ، فإنه سيعيد الكرة مرّات ومرّات .

قال الأمير في اهتمام :

— أعتقد أن موقفه لم يعد بالقوة التي كان عليها يا فتى ، فنقد عشروا على التاجر ( حسان ) قتيلا في



منزله . وعثروا على جاريته الاتيرة مقطوعة الرأس .  
على بعد شارع واحد منه . وستجواب جارية اخرى ،  
افادت بانها تمسك في ذلك الضيف . الذي قدم إليه على  
نحو مريب . في نفس اليوم الذي هرب فيه منك ذلك  
الغشتالى . في المرة الأولى . كما أكدت ان ( شيلوك )  
كان يزور ذلك الضيف كثيرا .

عقد ( فارس ) حاجبيه ، وهو يقول :

— اذن فقد كان يختبئ في منزل ( حسان ) ..  
يا للخائن ! كيف يساعد قشتاليا ؟

تهدد الشيخ ، قائلا :

— الطمع يا ولدى . طمع الدنيا يعمى العيون ويصم  
الاذان . ويغلق العقول

وافقه الأمير ، وهو يكمل حديثه . قائلا :

— هذا صحيح أيها الوزير ولكننى لا أعتقد أنه  
هناك خائن آخر . يمكنه أن يخفى ذلك الغشتالى في  
منزله . وهذا يعنى أنه صار شريدا في ( غرناطة ) ،  
ومن السهل كشف أمره .

اتهمك ( فارس ) في التفكير لحظة . قبل ان يقول في  
حزم :

— أو أنه سيغادرها مؤقتا .

سأله الأمير في اهتمام :

— ماذا تعنى يا فتى ؟

أجابه ( فارس ) في حماس :

— أعنى أن هذا الغشتالى بالغ الذكاء والبراعة  
يا مولاي الأمير . ومثله سيدرك بسرعة ان وجوده في  
( غرناطة ) ، دون مأوى معروف . سيضعف موقفه  
كثيرا ، ويجعله عرضة للشبهات والسقوط . ولن يكون  
من المنطقى أن يحتل منزلا مثلا : لأنه لا يستطيع تحديد  
الفرصة القادمة ، التى يمكنه فيها الظفر بالأمير  
( زاهر ) .. إذن فأفضل ما يفعله هو أن يغادر المدينة  
مؤقتا ، ويختفى وسط الغابات والتلال المحيطة بها ،  
حتى تهدأ الأمور قليلا ، ونتصور نحن أنه رحل ، فيعود  
ليهاغتنا باغتيال الأمير .

ارتسمت على شفاه الشيخ ابتسامة هادئة ، وهو  
يقول :

— أحسنت يا ولدى .. أحسنت .

نقل الأمير بصره بينهما لحظة . قبل أن يقول في  
حزم :

— فنيكن . سأصدر أوامرى بإيقاف كل من يحاول  
مغادرة ( غرناطة ) ، وتفتيشه جيدا .

قال ( فارس ) فى اهتمام :

- ولكننا مازلنا نجهل هيلته الحقيقية

سأله الأمير فى دهشة :

- ألم تبارزه فوق الأسطح ؟

أوما ( فارس ) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- هذا صحيح ، ولكنه كان مثمناً كالمعتاد .

قال الأمير فى قلق :

- كيف يمكننا حل هذه المشكلة إذن ؟ .. لن يمكننا

منعه من الخروج ، مادامنا نجهل هيلته .

أشار الشيخ بسأبته ، وهو يقول فى هدوء :

- أغلق كل مخرج المدينة ، فيما عدا واحداً ، وليقف

( فارس ) هناك ، لمراقبة كل من يحاول الخروج .

سأله الأمير فى حيرة :

- وفهم يفيد هذا ؟ .. ( فارس ) لم ير وجهه قط .

أوما الشيخ برأسه ، قائلاً :

- ولكنه يعرف هيلته .

صمت الأمير لحظة ، قبل أن يقول :

- وهل يكفى هذا ؟

قال ( فارس ) :

- من يدري يا مولاي ؟ ربما كانت هناك وسيلة

لتعرفه

دعنا ننفذ خطة الشيخ ، وليكن ما يكون

- قال الأمير فى حزم :

- قليكن .. سننفذ خطة الوزير .

شعر ( فارس ) بالارتياح ، عندما صدرت أوامر

الأمير . وامتلا ذهنه بصورة واحدة ، وجد فيها حل

الأزمة كلها ..

صورة ( فهد ) !

\* \* \*

توقف ( بابلو ) على صهوة جواده ، على مسافة مائة

متر من المخرج الوحيد للمدينة ، يراقب ما يحدث فى

اهتمام ..

كان من الواضح أنهم يبحثون عنه ، وسط المفادين

للمدينة ، فى نهاية نهار الجمعة ، الذى تزدهم فيه

الأسواق ، وتتزايد أعداد الغرباء ، على نحو يفوق

مثيله ، فى أيام الأسبوع الأخرى .

وكن واثقاً من أن أحدهم لا يعرف وجهه الحقيقى ..

حتى ( فارس ) ، الذى وقف بينهم ، يراقب الخارجين

فى اهتمام شديد ..

كل ما يمكنهم تعرفه هو هيلته العامة ، وثيابه ،

وجواده ..

ولقد تخلص من كل هذا ..

ولم يكن الأمر عسيراً ..

لقد انقض على شخص ما ، وخنقه بلارحمة ، ثم استولى على ثيابه وجواده ..

ومن حسن حظه ان ذلك الشخص كان أكثر منه بدانة ..

لقد أحاط جسده بقطع من ثيابه ، قبل أن يرتدى ثياب ذلك الرجل ، فبدأ بالفعل أكثر بدانة ، وتغيرت هيئته العامة تماماً ، مع ثيابه ، وجواده ..

ولعل أكثر ما ضايقه هو التخلي عن جواده ..

ولكنه إجراء مؤقت فحسب ، فما إن أصبح خارج المدينة ، ويهبط الليل ، حتى يطلق صفييره الخاص ، فيلحق به جواده ، ويختفيان معاً في الدغل القريب ، حتى تحين فرصة العودة ، واستكمال المهمة

ولكنه أكثر حذراً من أن يخرج منفرداً

إنه ينتظر لحظة خروج عدد من التجار أو الفرسان ، لينضم إليهم ، ويخرج وسطهم ، دون أن يثير أدنى شبهة .

ومن بعيد ، لاح له ما ينتظره ..

عدد من التجار ، يتناقشون فيما بينهم ، وهم

يتجهون إلى المخرج ..

وبسرعة ، اتجه ( بابلو ) بجواده نحوهم

واختلط بهم ..

وفي ثقة وهدوء ، اتجه معهم إلى المخرج ، وهو يسأل أحدهم :

- لماذا كل إجراءات الأمن هذه ؟

هز التاجر كتفيه ، قائلاً :

- ألم تسمع بأمر محاولة اغتيال الأمير ( زاهر ) ، في أثناء أداء صلاة الجمعة ؟

رفع ( بابلو ) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

- آه .. هذا هو السبب إذن .

وراح يتبادل الحديث مع التاجر ، على نحو جعلهما أشبه بصديقين قدامين ، وهما يعبران المخرج ، و ... وفجأة ، انطلقت صرخة تهتف :

- ها هو ذا ؟

استدار ( بابلو ) في سرعة إلى مصدر الصوت ، واتفقد حاجباه في شدة ، وهو يتطلع إلى جوادين ، يقتربان من المكان بسرعة كبيرة ..

وعلى متن أحدهما ، كان يجلس ( فهد ) ، بجسده



الأسود القوي ، وعضلاته البارزة الواضحة ، في حين  
استقر على صهوة الجواد الثاني رجل آخر ، يعرفه  
( بابلو ) جيدا ..

الحارس الخاص للشيخ ( حسام بن علي ) ..  
الرجل الوحيد ، الذي رآه في وضوح ، ويمكنه تعرفه  
في ثقة ، وبقي على قيد الحياة ..

وكان الحارس هو صاحب الهتاف ، وهو يشير إلى  
( بابلو ) ، مستطرذا في أفعال :

- لقد أبدل هيئته ، ولكنني لن أخطئ تعرفه قط .. لقد  
اتحفرت ملامحه في ذهني ، ولن يمحوها الزمن قط .  
وفي سرعة وحزم ، لكز ( بابلو ) جواده ، واندفع به  
وسط الجميع ، واستل سيفه في قوة ، ليهوى به على  
كل من يقف أمامه ، وهو يصرخ :

- ابتعدوا أيها العرب .. ابتعدوا .  
كان أمره قد انكشف ، وهو يعبر المخرج بالفعل ،  
معا ساعده على تجاوزه بسرعة ، والانطلاق بأقصى  
سرعته مبتعدا ..

وجذب ( فهد ) غسان جواده ليطارده ، إلا أن  
( فارس ) وثب على صهوة جواده ، هاتفا .

- اتركه يا ( فهد ) .. إنه لي .

وانطلق بأقصى سرعته خلف ( بابلو )  
وللمرة الثانية ، شعر القشتالي بالحنق ؛ لأنه اضطر  
لاستبدال جواده ، فلم يكن الجواد الذي يمتطيه بنصف  
كفاءة جواده ..

ولهذا لحق به ( فارس ) في سرعة ..  
وبكل قوته ، نوح ( بابلو ) بسيفه في وجه  
( فارس ) ، هاتفا :

- إياك أن تقترب أيها العربي ، وإلا ...  
استل ( فارس ) سيفه بدوره ، وراحا يتبارزان على  
صهوة جواديهما ، وهما ينطلقان جنباً إلى جنب ،  
و ( فارس ) يهتف :

- لن تربح هذه المرة أيها القشتالي .. لن تربح بإذن  
الله .

شعر ( بابلو ) أن ( فارس ) على حق هذه المرة ،  
وهو يقاتل بكل القوة والعنف والبسالة ، على متن جواد  
قوي مدرب ، يفوق جواده عشرات المرات ، فاختلس  
نظرة سريعة إلى معرفة ( رفيق ) ، التي يتشبهت بها  
( فارس ) ، وهو يضرب بسيفه في مهارة ، واستقبل

سيف ( فارس ) على سيفه ، هاتفا :

- هل تراهن أيها العربي ؟

ثم تراجع بسيفه بفتة ، وأماله في سرعة ، وهوى به  
على تلك القبضة من معرفة ( رفيق ) التي يمسك بها  
( فارس ) ..

وجاءت ضربته في موضعها تماما ..

لقد اجتزت ذلك الجزء من معرفة ( رفيق ) ، فاختل  
توازن ( فارس ) بفتة ، مع ضحكة ( بابلو ) الساخرة ،  
وهو يهتف :

- وداعا أيها العربي .. لقد خسرت معركتك الأخيرة  
معي .

كان من الطبيعي أن يفقد ( فارس ) توازنه ، بعد هذا  
الاختلال المبالغ فيه ، إلا أن رد فعله جاء مذهشا  
بحق ..

لقد قبض على بطن ( رفيق ) بفخذه ، ودفع جسده  
إلى الأمام ، و ( بابلو ) يتجاوز به خطوات قليلة ، و ...

وهوى بسيفه على رباط سرج جواد ( بابلو ) ..  
وانقطع الرباط بفتة ، ففقد القشتالي توازنه ، وسقط  
عن صهوة جواده ، وهو يهتف :

- اللعنة !.. لقد فعلها .

سقط أرضا في عنف ، وتناثرت جعبة الأسهم في  
مساحة واسعة ، ولكنه قفز واقفا على قدميه في

سرعة ، وهو يشهر سيفه ، هاتفا :

- لم تنته المعركة بعد أيها العربي .

قفز ( فارس ) عن صهوة جواده ، وهو يقول :

- صدقت أيها القشتالي .. المعركة بدأت ..

ووسط تلال ( غرناطة ) انقواء ، تقارع السيفان ..

وكانت أقوى مبارزة شهدتها التلال الخضراء ..

اثنان من أقوى فرسان العصر ، يلتقي سيفاهما في

قوة وعنف ..

ومرة أخرى ، أدرك ( بابلو ) أن خصمه لا يستهان

به ..

واتخذ قراره بأن القوة وحدها لن تحسم القتال ..

ومن منطلق قراره هذا ، هتف :

- أراهن على أن ( مهاب ) لفتك الكثير من مبادئه

السخيفة أيها العربي .

هتف به ( فارس ) ، وهو يضرب في قوة :

- هذا صحيح أيها القشتالي .. ( مهاب ) لفتني كل

مبادئه ، وأنا أشعر بالفخر لهذا .

أطلق ( بابلو ) ضحكة عالية ساخرة ، وهو يقفز إلى

الخلف ، قائلا :

- الفخر ؟!.. لن يفيدك الفخر كثيرا في الجحيم



يا هذا .. كل ما استفعله بك مبادئ ( مهاب ) ، هو أن ...  
بتر عبارته بفتة ، واحتقن وجهه في شدة ، ومال  
نصل سيفه ، وهو يقول في ألم واضح شديد :  
- اللعنة !.. تلك الأزيمة الـ ...

وسقط على ركبتيه ، وهو يسعل في شدة ، فاتعقد  
حاجبا ( فارس ) ، واقترب منه في حذر ، قائلا :  
- ماذا أصابك ؟

سعل ( بابلو ) مرة أخرى ، وهو يقول :  
- صدري .. أشعر بالآلام عنيفة .. اللعنة !.. إبنى ..  
مال ( فارس ) نحوه ، و ...

وفجأة ، استعاد ( بابلو ) نشاطه دفعة واحدة ،  
وانطلق سيفه يضرب سيف ( فارس ) في قوة ، ثم  
انقض على صدره ، وهو يطلق ضحكته الساخرة ،  
هاتفا :

- خسرت أيها العربي .

طار السيف من يد ( فارس ) ، وتراجع في حركة  
حادة ، ليتفادى نصل سيف ( بابلو ) ، فسقط على ظهره  
أرضيا ، في حين وثب القشتالي واقفا على قدميه ،  
وانقض عليه في عنف ، صارخا في سخرية :

- انحسم الأمر أيها العربي ، وفاز ( بابلو دي لوركا )  
كالمعتاد .

كان سيفه ينقض على صدر ( فارس ) مباشرة ،  
عندما التفت يد هذا الأخير أحد الأسهم ، التي تنشرت  
من جعبة ( بابلو ) ، فقبض على رأسه في سرعة ، ثم  
ألقاه بكل قوته نحو غريمه ..

ودار السهم حول نفسه بسرعة مذهشة ، قبل أن  
ينغرس رأسه في صدر ( بابلو ) ..  
وفي موضع القلب تماما ..

وشهق القشتالي ، واتسعت عيناه في ألم وذهول ،  
وسقط سيفه من يده ، وهو يحدق في وجه ( فارس ) ،  
الذي نهض في بطم ، قائلا :

- الآن فقط انتهت المعركة أيها القشتالي .

ارتجفت شفقا ( بابلو ) ، وانفرجتا لحظة ، وجسده  
كله يترنح ، ثم لم تلبث الدماء أن تدفقت من بينهما ،  
قبل أن يهوى جثة هامدة ، ويرتطم وجهه بالأرض ..  
أرض ( غرناطة ) ..

ولم ينهس ( فارس ) بهنت شفة ..

لقد وقف صامتا ، ساكنا ، يتطلع إلى جثة ( بابلو ) ،  
التي أصبحت رمزا لفشل آخر للقشتاليين ، في احتلال  
آخر ما تبقى للعرب في ( الأندلس ) ، وخيل إليه أن  
الرؤية من حوله تتسع وتتسع ، لتشمل المشهد كله ،



بأشجاره وتلاله ، وتلك المدينة في نهايته ، التي صارت  
رمزا للصمود في ذلك العصر ..

- ( غرناطة ) ..

حيث تحطم الغرور القشتالي برأس معدني صغير ..  
رأس السهم .

\* \* \*

[ تمت بحمد الله ]

# فارس الأندلس

من البطولات العربية

في أخرج فترة للعرب في إسبانيا

## رأس السهم

- ما سر تلك المهمة، التي أسندها الملك (فرناندو) لحارسه الخاص (بابلودي ثوركا)؟
- كيف نجح الفارس القشتالي في مهمته، حتى كاد يظفر بأحد أمراء (غرناطة) في أرضه؟
- ترى هل ينجح (فارس) في التصدي للقشتالي، أم يخسر عملية (رأس السهم)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وعش عبق التاريخ مع (فارس الأندلس) ...

الطريق إلى قرطبة

الرواية القادمة

المؤلف



د. نبيل فاروق

المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى: ٢٠٠٩